المبحث الثانى : نشأة الآريوسية وتطورها بمصر فى القرنين الرابع والخامس الميلاديين

تنسب الآريوسية إلى القس آريوس[1] المولود في قورينا (ليبيا الحالية) عام 270 م ،لأب اسمه أمونيوس من أصل ليبي بربري ، حسب شهادة القدّيس أبيفانيوس أسقف سلاميس وجزء من خطاب قديم بين آريوس والإمبراطور قسطنطين يقول فيه أنه يحظى بتأييد شديد من أهل ليبيا[2]، وقيل ولد فى الإسكندرية[3] ، درس اللاهوت بمدرسة الإسكندرية اللاهوتية وتأثر بفكر عمادها أوريجن ودرس أيضا بمدرسة لوقيانوس[4] ، حيث تعلَّم على يديّ لوكيانوس الإنطاكيّ (السَّمُوساطيّ) في نيقوميديا ، و من ثم فقد جمع آريوس في تعليمه بين اتجاهين مختلفين لمدرستى أنطاكية والإسكندرية[5]، وفيما بعد أخذ المنتمون لمدرسة أنطاكية يهاجمونه ويتهمونه بأنه سكندرى ، في حين أن المنتمين إلى مدرسة الإسكندرية كانوا يحاربونه متهمين إياه بأنه أنطاكى.

ويمكننا أن نرجع تواجد آريوس بأنطاكية للدراسة إلى ميله للتفسير النصى الذى كان منتشرا بأنطاكية على يد أستاذه لوقيانوس . إذ إن آريوس بعد أن حصل العلوم العقلية فى الإسكندرية لم يجد ما يشبع رغبته لأنه ما كان يقبل إلا الأدلة والبراهين ، ومن ثم توجه إلى مدرسة أنطاكية.

---

[1] – كان طويل القامة نحيل الجسم ، يبدو على ثيابه أثر الزهد وخشونة العيش إذ كان يرتدى جلبابا قصيرا من غير كمين تحت ملحفة يستخدمها عباءة . أنظر : ول ديورانت ، قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، القاهرة ، 2001م ، 392/11.

[2]– Richard P. C. Hanson, Search for the Christian Doctrine of God, The Arian Controversy PDF, p.3

[3]– رمسيس عوض ، الهرطقة فى الغرب ، ص71.

[4] – كل من درس في مدرسة لوكيانوس صاروا يلقبون باسم "اللوكيانيين" أو "الاتحاد اللوكيانى".

[5] – رأفت عبدالحميد ، اغتيال آريوس ، مجلة كلية الآداب ، جامعة المنصورة ، عدد 19 ، أغسطس 1996م ، ص53.

سيم آريوس شماسا بيد البابا بطرس (البطريرك 17) (300م-310م) ، إلا أنه طرد من الكنيسة أو قطع من الشركة على حد تعبير المصادر المسيحية في عهد البابا بطرس أيضاً بسبب مجاهرته برأيه بشأن المسيح وانتشار رأيه فى كل مكان[1]، وإتخاذه جانب ميليتيوس أسقُف ليكوبوليس (أسيوط حالياً) سنة 306م الذي أنكر الإيمان الأرثوذكسى في عهد الإمبراطور دقلديانوس[2] ، وعندما أراد آريوس أن يصبح كاهناً في الإسكندرية سنة 308، عارضه أسقفها بطرس حتى وفاته ، لكنه سيم شماساً على حى بوكاليس بالإسكندرية عام 312م ثم أسقُف كنيسة بوكاليس Baucalisبالإسكندرية على يد البابا أرخيلاوس(311-312م) (البطريرك 18[3]) وعقب وفاة أرخيلاوس وتولى إسكندر "الكسندروس" البطريركية (312م- 326م) تقدمت جماعة من الشعب إلى البابا الجديد وطالبته بقبول آريوس إلا أنه رفض ذلك متعللا بوصية أبيه بطرس بمنع آريوس ، والتى خالفها أرخيلاوس[4] .

ورغم هذا الرفض من البابا إسكندر "الكسندروس" فقد استطاع آريوس أن يصبح ذا شأن كبير في الإسكندرية ، بسبب ثقافته وصفاته الشخصية، فقد كان ذا موهبة في الخطابة فصيحاً بليغاً قادراً على توصيل أفكارة بسلاسة بين العامة والمفكرين ، ومن ثم جمع حوله عدداً من التلاميذ من أبناء رعيته، وسبعمائة عذراء مكرسة كن يتبعنه أينما ذهب ، ونشر أفكاره عن المسيح مستغلاً مركزه في الإسكندرية[5] ، وكان أتباعه يعلمون النساء فى الشوارع

---

[1] – ساويرس بن المقفع ، تاريخ البطاركة ، تحقيق عبدالعزيز جمال الدين ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، 2012م ، 323/1.

[2] – نفس المصدر ، 347/1 ؛ وانظر : ابن البطريق ، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، 1905م ، ص124.

[3] – قارن : ساويرس بن المقفع ، تاريخ البطاركة ، 364/1 ؛ ابن البطريق ، التاريخ المجموع ، ص128 ؛ جون لوريمر، تاريخ الكنيسة ، دار الثقافة ، 1988، 39/3 ؛ وانظر : Phiostorgius, Book 1:4; Philostorgius, Church History, Translated with an Introduction and Notes by Philip R. Amidon, Society of Biblical Literature 2007

[4]– قارن : ساويرس بن المقفع ، مصدر سابق ، 366/1 ; ابن البطريق ، التاريخ المجموع ، ص124.

[5] – الأب ميشال أبرص والأب أنطوان عرب ، سلسلة تاريخ المجامع المسكونية الكبرى (2) المجمع المسكوني الأول نيقية الأول 325م ، ص 121-127 ; وانظر : ول ديورانت ، قصة الحضارة ، 392/11 ; محمود سعيد عمران ، تاريخ مصر في العصر البيزنطي ، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية ، 1997م ،ص62،64.

بكل جرأة هذا السؤال : أيمكن أن يوجد ولد قبل أن يولد ؟" ; وكان آريوس نفسه ينتقل من بيت إلى بيت يطرح أفكاره على الرجال فى الإسكندرية[1].

الجدير بالذكر أن بعض المصادر المسيحية التى ذكرت حرمان الكسندروس لآريوس مع بداية ولايته ورفضه مطلب الشعب بقبول آريوس فإنها تذكر فى نفس الوقت قبول آريوس بعد فترة وتعلل ذلك بأنه ادعى الإيمان الأرثوذكسى ، ومن ثم قبلته الكنيسة[2] ، وهذا الأمر لا يمكن التسليم به مطلقا لا سيما وأن آريوس بدأ سنة 318م فى نقد التعليم الخريستولوجي (طبيعة المسيح) للبطريرك الكسندروس الأوَّل -بطريرك الإسكندريَّة رقم 19 آنذاك- ، وقد اصطدما معا بسبب الاختلاف حول تفسير نص في الكتاب المقدس خاص بشخص المسيح[3] ، وكان الكسندروس قد أعطاه – كما اعتاد الأسقف أن يفعل مع الكهنة – موضوعا ليبحثه. فجاء رد آريوس عبر خطبة خطبها ذات يوم على المنبر بالإسكندرية وابتدأ خطبته بكلام سليمان بن داوود حيث يقول " الرب خلقنى فى أول خلائقه " ، وأخذ يقرر بأنه عنى بذلك " كلمة الله" فهى مخلوقة مباينة بالجوهر لذات الله لأنها عبارة عن العقل الذى هو المعلول الأول وهو أول ما خلق الله " [4]، وقد قرر آريوس مذهبه على أسس عقلانية مؤيدة بالأدلة حيث قال : " الأب هو الإله الحق فى مقابل الابن الذى ليس إلها حقا . فهما متعارضان بالضرورة على أساس التعارض بين غير المخلوق والمخلوق ، ومن ثم فليس هناك اثنان غير مخلوقين ، إلهان لا متناهيان ، وعلى ذلك فالله لم يكن دوما آبا ، وكلمة الله لم تكن دواما ، ولكنها من العدم نشأت . فالله قد جعل هذا الذى لم يكن من ذلك لا وجود له ، وعليه فقد كان زمان لم يكن الابن . فالابن مخلوق لا يساوى الآب فى الجوهر ... إنما هو أحد

---

1 -Theodoret: Ecclesiastical History translated by Blomfield Jackson, Book I, I, P.73.

2- ساويرس بن المقفع ، مصدر سابق ، 1/367،366.

3 – الآية في سفر الأمثال 22:8 ونصها في الترجمة السبعينية : خلقني السيد الرب في بدء طرقه لأحقق أعماله ، في نظر آريوس هذه الاية تقول ان يسوع هو كلمة الله المخلوقة وهذه الكلمة (خلقني) تبطل كليا الوهية الابن فليس هو الا كائنا مخلوقا قد يكون له امتيازات لكن حتما هو ادنى من الله ولا يحق لنا عبادته .

4- قارن : ابن العبرى ، تاريخ مختصر الدول ، ص80 ; بربارا واترسون : أقباط مصر ، ترجمة ابراهيم سلامة ابراهيم ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، 2011م ، ص70 ; رمسيس عوض ، الهرطقة فى الغرب ، ص72.

الخلائق ..... ومن ثم فهو بطبيعته عرضة للتغيير والتغاير شأن كل الخلائق ، والكلمة غريبة عن جوهر الآب بعيدة ومنفصلة ...إن الكلمة لا تعرف الآب كنهه ، والابن لا يعاين الآب يقينا ، والابن لا يعرف ذات الجوهر[1] .

لقد قصد آريوس من وراء مقولته تأييد وحدانية الله ، وبذلك تم تجريد المسيح من صفاته الألوهية وأنه منقذ العالم ، ماحيا بذلك فكرة الخلاص redempation التى اعتبرتها المسيحية فكرة أساسية فى العقيدة[2].

أحدثت دعوة آريوس هذه صراعا فكريا ومذهبيا بكنيسة الإسكندرية بين مؤيديه ومعارضيه فعقد الكسندروس اجتماعا تمكن خلاله الجانبان من طرح موقفهما، وفيه قرر آريوس موقفه السابق من المسيح ، فى حين قرر الكسندروس موقفه على النحو التالى : " إن المسيح سماويا ومقدسا مثل الرب وهو من نفس طبيعة الرب " ، ومن ثم فقد استخدم الكسندروس مصطلح homoousion الذى يعنى أن المسيح من نفس جوهر الآب ، فى حين استخدم آريوس مصطلح homoiousion الذى يعنى أن المسيح يشبه الآب فى الجوهر [3] ، وبعد احتداد النقاش وقف الكسندروس ضد آريوس وطلب إليه أن يتراجع , لكن آريوس أصر على موقفه وطلب تأييد زميله فى الدراسة الأسقف أوسابيوس النيقوميدى, وراح يذيع دعوته قائلا : "إن كان الآب قد ولد الإبن، فهذا المولود مُبتدئ الكيان ، ومن هذا الدليل يتضح أنه هُناك وقت لم يكُن الإبن فيه كائناً ، ويتبع ذلك بالضرورة أنه جاء من العدم" [4] ، ومن ثم اعتبر آريوس أن أفكار الكسندروس سابيلية [5] ، وقد

---

[1] – ول ديورانت ، قصة الحضارة ، 392/11 ; وانظر : رأفت عبدالحميد ، الدولة والكنيسة ، مكتبة سعيد رافت ، القاهرة ، 1980م ، 61،62/2.

[2] – العرينى ، مصر البيزنطية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1961م ، ص44.

[3]– Magonlias, h.j,byzantine chritianity emperor, church and the west ,chicago,1970,p.21,22. وانظر : عزيز سوريال عطية ، تاريخ المسيحية الشرقية ، ترجمة ميخائيل مكسى إسكندر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 2012م ، ص33.

[4]– Socrates Scholasticus, A History of the Church in Seven Books ,London: Samuel Bagster and Sons, 1844, Book 1, Chapter 5; وأنظر : إدوارد جيبون ، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها ، ترجمة محمد على أبو درة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط2 ، 1997م ، 431/1.

[5] – نسبة إلى سابيليوس صاحب الفكرة السابيلية المعروفة باسمه، والذي ظهر في روما أوائل القرن الثالث. والسابيلية تعلم بأن الآب والابن والروح القدس هم شخص واحد وليس ثلاثة أقانيم. فنقول "أن الآب=

استجاب لآريوس وتبعه على رأيه حوالى سبعمائة عذراء مُكرَّسة من الكنيسة وسبعة قساوسة وإثنى عشر شماساً وبعض الأساقفة مثل سيكوندس وبتوليمس (من أساقفة ليبيا) ، ورُبّما يكون دعم أساقفة ليبيا له دليلاً كبيراً على أصله الليبى ، لقد حظى آريوس بشهادة مخالفيه بدعم شديد فى شمال أفريقيا ومن يوسابيوس النِّيقوميديّ ويوسابيوس القيصريّ وبعض كهنة الإسكندريَّة ونُسَّاكها[1].

كان رد الكسندروس على إصرار آريوس أن دعا لعقد مجمع في العام320م بالإسكندرية إلا أنه لم يحقق نفعا[2] ، ومن ثم دعا لمجمع آخر فى العام321م شارك فيه مائة أسقف من مصر ضد آريوس ، وانتهى إلى حرمان آريوس وعزل إثنى عشر شخصا أو أكثر من مناصبهم , بينهم أسقفان من ليبيا, فغادر آريوس الإسكندرية ولجأ الى أوسابيوس أسقف قيصرية فلسطين[3].

وقف بعض الأساقفة إلى جانب الكسندروس منهم أساقفة القدس, وطرابلس, وأنطاكية وأنقيرة(أنقرة حاليا) ، في حين وقف إلى جانب آريوس زملاؤه في الدراسة مثل أوسابيوس النيقوميدي, ومآريوس الخلقيدوني وثيوغينس النيقاوي , وأنطونيوس الطرسوسي, فضلا عن أساقفة من سواحل البحر الأبيض المتوسط الشرقية وهم : أوسابيوس القيصري, وأساقفة صور, واللاذقية في سوريا, وبيروت واللد في فلسطين ، ومن

= أعطى الناموس في العهد القديم، ثم ظهر هو نفسه باسم الابن في التجسد، وبعد أن أختفى المسيح بالصعود ظهر هو نفسه باسم الروح القدس. أى أن الثالوث هو ثلاث ظهورات متوالية في التاريخ لشخص واحد، وليس ثلاثة أقانيم لهم جوهر واحد. أنظر : أثناسيوس ، المقالة الثالثة ، ص15 ; رمسيس عوض ، الهرطقة فى الغرب ، ص66.

1–Theodoretus, A History of the Church in Five Books ,London: Samuel Bagster and Sons, 1843, P. 4.

2–C.J. Hefele, *A History of the Councils*, from the original documents, AMS Pres 1972, reprinted from the edition of Edinburgh T. & T. Clark, 1894, Vol. 1 p. 247

3– عزيز سوريال ، تاريخ المسيحية ، ص34 ; وانظر : الخورى بولس ، أثناسيوس أسقف الإسكندرية العظمى ، مجلة الشرق ، بيروت ، ص508 ; رمسيس عوض ، الهرطقة فى الغرب ، ص73 .

obeikandl.com

ثم فقد تجاوزت قضية آريوس في هذه المرحلة حدود مصر ووضعت الجبهة الشرقية من الإمبراطورية في حالة من الهيجان فكان لابد من تدخل الإمبراطور قسطنطين للحفاظ وحدة الإمبراطورية[1].

وهذا الأثر الذى أحدثه آريوس والآريوسية بنقل الصراع الفكرى من مصر إلى خارجها يعبر عنه المؤرخ الكنسى سوزمين بقوله : " إن الإجراء الذى اتبعه الآريوسيون كان على جانب كبير من الأهمية . فقد نقل المشكلة من النطاق المحلى إلى الدائرة الأكثر اتساعا ، وأضحى حديث كل الأساقفة[2]".

رحل آريوس إلى فلسطين ثم اتجه إلى سوريا فآسيا الصغرى[3] ، وتمكن من أن يجمع حوله عددا من الأساقفة وافقوه على عقيدته التي تعتبر امتدادا لعقيدة التلاميذ ، وكان من بين هؤلاء يوسابيوس النِّيقوميديّ أسقف نيقوميديا" اللوكيانى، ويوسابيوس القيصريّ المؤرِّخ الكنسيّ أسقف قيصرية الأوريجانى ، الذى ارتبط معهما آريوس بعلاقة وثيقة ، ودارت بينهم مُراسلات عديدة كان آريوس يشكو فيها مما سمَّاه "إضطهاد البابا الكسندروس"، منها الخطاب التَّالي إلى يوسابيوس النِّيقوميديّ :[إلى رجل الله المحبوب بالأكثر، المؤمن المُستقيم (Orthodox) يوسابيوس، من آريوس، المُضطهَد بغير حقّ من الأب الكسندروس لأجل الحقّ شديد القوَّة الذي تُدافع أنت –يا يوسابيوس– عنهُ. لأن أبي آمونيوس ذاهبٌ إلى نيقوميديَّة، بدا لي أنه من المُناسب واللائق أن أُرسل لك تحيّاتي معه، مُتذكّراً المحبَّة الرّاسخة بالفطرة والعاطفة التي لك تجاه الإخوة في الآب ومسيحهِ، لأن الأسقف (الأب الكسندروس) يجتاحنا و يضطهدنا مُثيراً ضدّنا كل شرّ. يطردنا من كُلّ مدينة وكأنَّنا رجالٌ لا إله لنا، لأجل عدم موافقتنا على قوله : "كان دائماً هناك إله و دائماً هُناك إبن، مُنذ كان الآب

1– السيد الباز العريني ، الدول البزنطية ،دار النهضة العربية ، بيروت ، 1982، ص32.

2– The Ecclesiastical History of Sozomen: Comprising a History of the Church from A.D. 324 to A.D. 440 (1855),1.15.

3– الأب صبحى حموى اليسوعى ، القديس اثناسيوس السكندرى بطل ألوهية المسيح ، بيروت ، ط1 ، 1998م ، ص6،7.

كان الإبن (موجوداً). مع الآب يشترك الإبن الأبديّ في الكيان، المولود منذ الأزل، المولود بغير إنجاب (بغير ألم). لا يسبق الآب الإبن كيانيّاً ولا بلحظة زمن، دائماً الآب (كائن) و دائماً الإبن (كائن) والإبن هو من الآب". لأن يوسابيوس -أخيك في قيصاريَّة- وثيودوتُس وبافلينُس وأثناسيوس وغريغوريوس و آيتيوس - وجميع هؤلاء الذين هُم في الشَّرق، القائلين بأن الله قبل الإبن بغير بدء- قد قُطعوا (حُرموا)، ما عدا فيلوجونيس وهلّينيكوس ومكآريوس ، وهؤلاء الهراطقة الجهلة الذين قالوا بأن الإبن قد تُقُيّئ به، و آخرون قالوا بأن الإبن كان فيضاً، وبقى آخرون يقولون بأنَّه كان في شركةٍ وغير مُبتدئ. لسنا نستطيع أن نستمع لهذه الأقوال غير التقيَّة ، حتى ولو هددنا الهراطقة بعشرة آلاف موت. وكما نقول ونفتكر وعلّمنا ومازلنا نُعلِّم الآن بأن الكلمة غير أزليّ، و ليس جزءاً في أي كيان أزليّ، و أنَّه لا يستمد وجوده بأي طريقة، و لكنّهُ كان موجوداً بالمشيئة والمشورة قبل الوقت ، وقبل الأزمنة، الإله الكامل (مُمتلئ بالنعمة)، الابن الوحيد وغير المُتغيّر، وقبل أن يُولد أو يُخلق أو يُشكَّل لم يكُن موجوداً إذ هو غير أزلي. ولكنّنا نُضطهد لأننا نقول بأن الإبن مُبتدئ والله غير مُبتدئ، نُضطهد لأجل هذا ولأجل قولنا أنَّه جاء من العدم (اللا كيان)، ولأجل أنَّه ليس جزءاً من الله ولا من أي كيان أساسي، لأجل هذا نُضطهد وأمَّا الباقي فأنت تعلمهُ. أُودِّعك في الرَّب مُتذكِّراً آلامنا، يا صديقي في مدرسة لوكيانوس، يا من أنت كما تُدعى بالحقيقة، "يوسابيوس[1]".

ومن هذا الخطاب ومما سبق طرحه يتضح الآتى :

أولا : أن آريوس اضطهد وتعرض للامتهان مرارا بسبب موقفه الذى جاهر به بشأن بشرية المسيح وأنه عبد مخلوق غير أزلى وليس جزءا من الآب .

ثانيا : أن آريوس لم يكن وحده هو الذى قال بهذا القول بل شاركه ثلة من رجال الدين المسيحى كما هو واضح من الخطاب ، وقد تعرضوا جميعا للحرمان شأنهم شأن آريوس .

[1] – معنى يوسابيوس التقى ، وانظر نص الخطاب عند جون إدوارد ، الآريوسية دراسة لاهوتية تاريخية للصراع بين الأرثذوكسية والآريوسية ، بدون دار طبع ، 2012م ، الفصل الأول ; marius victorinus, traits the ologiques surlafoi ,(sc68) ,paris ,1960 ,pp.176-179.

Open Kanal.com

ثالثا : أن دعوة آريوس لمذهبه لم تكن وليدة عصر البطريرك الكسندروس وتحديدا فى العام 318م بل سبقت ذلك بكثير عندما حرم فى عهد البطريرك بطرس فى العام 306م على أثر انتشار مذهبه فى كل مكان حسب تعبير أحد المصادر المسيحية كما سبق وأن ذكرنا .

رابعا : لقيت دعوة آريوس منذ عهد البطريرك بطرس قبولا من جموع غفيرة من شعب الإسكندرية وجماعة من الشمامسة والقساوسة ومن ثم رأيناهم جميعا يذهبون إلى بطرس ويضعون بين يديه العديد من الالتماسات والدعاوى لقبول آريوس فرفض ، وبعد وفاته رأينا جموعا من الشعب يطالبون خلفه البطريرك أرخيلاوس بقبول آريوس فقبله ورفع عنه قرار الحرمان[1] ، وكذلك مع بدء الولاية الجديدة للكسندروس رأينا جماعة من الشعب يطالبونه بقبول آريوس الأمر الذى يؤكد على انتشار تعاليم آريوس بين جموع الشعب كما هو واضح من خلال المطالب الشعبية المتكررة للبطاركة بقبوله.

بعد وقت ليس بالطويل قضاه آريوس فى التنقل بين البلاد تمكن آريوس من العودة مرة أخرى إلى الإسكندرية. حيث أخذ يعمل بحماس شديد وبأساليب مبتكرة لأجل عقيدته التى راح ينشرها بين الجماهير عن طريق الأحاديث والأشعار والمباحثات ، وقد ساعده على ذلك ما كان يظهر به من مظاهر الورع والتقوى إلى جانب ما يتصف به من الكبرياء والتباهى وحبه للنضال[2].

الجدير بالذكر أن الإمبراطور قسطنطين الذى دعا لمجمع نيقية سنة 325م – لحل النزاع بين آريوس وكنيسة الإسكندرية ممثلة فى البطريرك الكسندروس وأتباعه – كان جاهلا بالأمور الدينية المسيحية ، فضلا عن ولائه لوثنيته –رغم اعترافه بالمسيحية فى مرسوم ميلان 313م – إذ لم يعمد كمسيحى إلا وهو على فراش الموت ، الأمر الذى اضطره لإرسال الأسقف أوسيوس (أسقف قرطبة) ومستشاره في الشؤون الدينية[3] ليحمل رسالة إلى الكسندروس وآريوس يلومهما فيها على زرع الاضطراب في كافة أرجاء المنطقة بسبب تأويل آية بسيطة من الكتاب المقدس على حد زعمه ، ومما جاء فى رسالته :

---

[1] – ساويرس بن المقفع ، تاريخ البطاركة ، 1/364،341.

[2]– عزيز سوريال ، تاريخ المسيحية ، ص35.

[3]– رمسيس عوض ، الهرطقة فى الغرب ، ص74.

openkandil.com

" عندما طلبت يا إسكندر من القسوس أن يدلو بآرائهم حول فقرة معينة فى الشريعة الإلهية ، أو بتعبير آخر عندما سألتهم سؤالا يتصل بموضوع عديم الأهمية ، أصررت يا آريوس بعدم تبصر ، على نقطة ما كان يصح مطلقا أن تخطر لك على بال ، أو إن كانت قد خطرت ببالك كان يجب أن تطرح فى زوايا النسيان ، وهكذا قام النزاع بينكما ، وانتزعت روح الشركة ، وتمزق الشعب المقدس إلى أحزاب مختلفة ، ولم يبق بعد أثر لوحدة الجسد الواحد ...فليقابل إذن بصفحكم المتبادل كل من السؤال الذى وجه بلا تحفظ ، والجواب الذى قدم بتهور ، لأن سبب نزاعكم لم يكن من العقائد الجوهرية ، أو وصايا الناموس الإلهى ، ولا قامت بينكم هرطقة جديدة تتعلق بعبادة الله ، والواقع أنكم جميعا برأى واحد ، وفكر واحد فخير لكم أن تعيدوا شركتكم بعضكم مع بعض[1] ".

مما سبق يتضح الآتى :

أولا : أن آريوس كان من قادة الكنيسة البارزين وكان يتحاور ويتناقش مع الكسندروس كما ورد فى رسالة الإمبراطور ، ولم يكن ممنوعا من الدخول على الكسندروس ، ومن ثم فإن رسالة الإمبراطور هذه تبطل ما أشارت إليه المصادر المسيحية عندما ذكرت على لسان الكسندروس أن البطريرك بطرس أوصاه بأمر المسيح أن لا يقبل آريوس ولا يدخله عليه ولا يجتمع به حتى يعترف للمخلص بخطيئته فإذا قبله فسيأمرنى بقبولك [2]، ومما يبطل هذا الكلام أيضا أن البطريرك الذى خلف بطرس هو الذى وسم آريوس سماسا ثم قسا كما سبق وكان ذلك تحقيقا لمطلب جماعة من الشعب [3] فكيف به يقبل كلام جماعة من الشعب ويرفض وصية سلفه إن كانت هناك وصية بحق؟!!.

ثانيا : أن الرسالة أكدت على جهل الإمبراطور بأبجديات الديانة المسيحية ، وعدم تفريقه بين الحق والباطل إذ اعتبر أن رأى آريوس والكسندروس رأيا واحدا ، ولو كان الأمر كذلك لماذا قامت الصراعات وعقدت المجامع لأجل رأى آريوس.

---

[1] – يوسابيوس القيصرى ، حياة قسطنطين العظيم ، الكتاب الثانى ، الفصل التاسع والستون ، والفصل السبعون ; وانظر : ول ديورانت ، قصة الحضارة ، 394/11.

[2] – ساويرس بن المقفع ، تاريخ البطاركة ، 366/1.

[3] – نفس المصدر ، 364/1.

obeikandl.com

ثالثا : أن الرسالة تظهر حرص الإمبراطور على وحدة الإمبراطورية فى المقام الأول والأخير ، دون أن تظهر حرصه على الديانة المسيحية .

رابعا : أن الرسالة أظهرت عنف الصراع الفكرى والمذهبى بسبب رأى آريوس ، وهو ما يؤكد أن مذهبه كان متأصلا ومتجذرا بين الناس ، ومن ثم لما صدع به وجد التفافا من الناس حول رأيه.

خامسا : أن البادىء بطرح قضية البحث هو البطريرك الكسندروس ، وأن ما وقع من آريوس كان مجرد رد فعل وإن جاء حادا بعض الشيء ، الأمر الذى يجعلنا نتكهن بأن هذا الموضوع كان مدبرا للإطاحة بآريوس ولو على حساب تعاليم المسيحية ، ولعل هذا الفرض يصير حقيقة إذا علمنا أن بطريرك الإسكندرية الكسندروس وسكرتيره قاما بإعداد إقرار بأمر من أوسيوس مستشار الإمبراطور قسطنطين، ليوقع عليه آريوس وأتباعه من رجال اللاهوت، جاء فيه :

1- الاعتراف بأن هناك إله واحد هو يسوع المسيح انتقلت إليه الألوهية عن طريق الآب.
2- أن يسوع ابن وحيد مولود وليس مخلوق.
3- أن المسيح موجود من قديم الزمان ، وأنه لا يمكن تغييره أو تبديله ; وأنه ليس مجرد إرادة الله وإنما هو الوجود الفعلي لله!!.

وتلي هذه البنود سلسلة من اللعنات والحرمان على كل من لا يقرها، وكانت هذه الوسيلة لفرض الخضوع وتغيير الرأي، على المخالفين لتيار المؤسسة الكنسية، هي المرة الأولى من نوعها ، ويقال أن ستين أسقفاً قاموا بالتوقيع على وثيقة أوسيوس، بينما رفض آريوس وثلاثة آخرون تم حرمانهم وتوقيع اللعنة عليهم ، وقرر بطريرك الإسكندرية عقد مجمعا في أنقرة، إلا أن الإمبراطور قسطنطين فاجأ الجميع بنقل مكان المجمع إلى مدينة نيقية على بُعد ثلاثمائة كيلومترا من أنقرة! وبذلك تحول المجمع المحلي الذي كان سيعقد للبت في شأن كنسي داخلي إلى مجمع عام، يضم كافة الكنائس، لذلك يسمى أول مجمع مسكوني أو مجمع نيقية الأول، وانعقد في منتصف عام 325 م.

اجتمع فى مجمع نيقية مجموعة كبيرة من الأساقفة تراوحت أعدداهم ما بين مائتين وخمسين أسقفا إلى ألفين وثمانية وأربعين أسقفا حسب المصادر والمراجع المسيحية ، فعند يوسابيوس القيصرى صاحب تاريخ الكنيسة وكان أحد المشاركين فى المجمع نجد العدد مائتين وخمسين[1] ، وعند إفستاثيوس أسقف أنطاكية نجد العدد مائتين وسبعين ، وعند أثناسيوس نجدهم ثلاثمائة أسقفا منهم أثناسيوس نفسه الذي أصبح فيما بعد بطريرك الإسكندرية ، ثم بعد عام 360م نجد أثناسيوس يصل بالعدد إلى ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفا[2] ، وعند ابن البطريق وكذا عند مؤرخى الكنيسة المتأخرين نجد أن العدد ألفين وثمانية واربعين أسقفا ، وأن الثلاثمائة وثمانية عشر إنما كانوا المجموعة التى اتفقت على رأى واحد بشأن ألوهية المسيح[3].

ترأس المجمع أوسيوس أسقف قرطبة ، وألقى يوسابيوس القيصري خطبة الافتتاح ، وقيل إن قسطنطين هو الذى ترأس الجلسة الافتتاحية وألقى خطبة الافتتاح باللاتينية مرحبا بالآباء المجمعيين ، وبعد جلسة الافتتاح الاحتفالية باشر الآباء عقد جلسات العمل[4] ، وكان يوسابيوس يستمع بصبر عظيم إلى المناقشات ويهدىء من عنف الفئات المتنازعة[5].

تمثلث صيغة الكسندروس التى يؤيدها الإمبراطور وأسقف البلاط وأثناسيوس فى التالى " دائما إله ، دائما ابن وفى نفس الوقت آب ، وفى نفس الوقت ابن ، الإبن أزلى غير مخلوق ، دائما إله ، دائما ابن " .

1- أنظر : حياة قسطنطين ، الكتاب الثالث ، الفصل التاسع .

2- أسد رستم ، كنيسة مدينة الله ، 1/200،199.

3- أنظر : التاريخ المجموع ، ص126 ; ابن كبر ، مصباح الظلمة فى إيضاح الخدمة ، مكتبة المحبة ، 1/128 ; مارى بن سليمان ، أخبار بطاركة كرسى المشرق ، طبعة رومية ، 1899م ، ص15.

4- قارن تشارلزورث ، الإمبراطورية الرومانية ، ترجمة رمزى عبده ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1996م ، ص214،213; إدوارد جيبون ، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها ، 1/433; رأفت عبدالحميد ، الفكر المصرى فى العصر المسيحى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 2000م ، ص198.

5- ول ديورانت ، قصة الحضارة ، 11/394.

Open Kanal.com

وتمثلث صيغة آريوس التى عارض بها صيغة إسكندر فى التالى " الله الواحد الأحد القائم وحده القيوم ، هو الوحيد الذى لم يولد ، ليس له بداية او نهاية ، لا يمكن إدراكه أو التعبير عنه ، وليس له معادل أو مكافىء على الإطلاق " ، وأضاف آريوس " إن المسيح مخلوق بشر ، وأنه أقل من الأب فى الجوهر ، وبالتالى فإنه أقل منه مرتبة ... ولابد أن يكون هناك وقت لم يكن فيه المسيح مخلوقا ، وكان فيه الخالق وحده[1] ".

كان أول ما تم البحث فيه هو إقرار صحة مذهب آريوس من عدمه ، أو بمعنى آخر هل عقيدة آريوس مطابقة لتعليم الكنيسة التقليدي؟ ، وصدر القرار بأن العقيدة الآريوسية مخالفة للايمان الصحيح ، ومن ثم كان على آباء المجمع أن يجدوا صيغة تستبعد وترد على كل ما يقوله آريوس عن ولادة الابن , "إله ولد من إله", ومن هنا كانت البداية أن يتجه اللاهوت نحو اللغة الفلسفية ليجد التعبير الذي يستبعد كل محاولة تفسيرية ذات معنى آريوسي, وهكذا ابتكر تعبيير مساو للآب في الجوهر والذى كان الكسندروس أول من استخدمه ، ومن بعده أثناسيوس[2]، وكانت هذه بداية الخطة النيقاوية لوأد مذهب آريوس.

حسب المصادر المسيحية فقد استمرت جلسات المجمع سبعة وتسعين يوما وأن المناقشات بدأت بحديث آريوس الذى برهن على صحة معتقده بما فى الكتاب المقدس من نصوص ومنها ما ورد فى سفر التثنية : 6:4 " اسمع يا إسرائيل : الرب إلهنا رب واحد " ، وبما فى مرقس 13:32 " وأما ذلك اليوم – القيامة- وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين فى السماء ، ولا الابن إلا الآب " ، وبما فى يوحنا 28:14 " لو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون لأنى قلت أمضى إلى الآب ، لأن أبى أعظم منى " ، وبما فى لوقا : 19:18 " لماذا تدعونى صالحا ! ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله".

وتحدث الشماس السكندرى أثناسيوس الذى كان فى بداية الثلاثينات من عمره وراح يرد على آراء آريوس ويصفها بأن مصيرها إلى الزوال والفناء لأنه " كما أن الأب أزلى يجب أن

1- قارن : ول ديورانت ، قصة الحضارة ، 11/395،394 ; حسنين محمد ربيع ، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، ص28،29.

2- Magonlias, h.j,byzantine chritianity,p.21.

openkanal.com

يكون الابن أيضا أزليا ، لأن كل ما نراه فى الأب يجب أن يكون بلا جدال فى الابن ، والأب نور والابن شعاع ونور حقيقى ، الأب إله حق والابن إله حق[1] " ، واحتج أثناسيوس بما فى يوحنا 14:10 " أنا فى الآب والآب فى " ، فتعقبه آريوس بالرد قائلا : " كيف يمكن أن يحتوى الآب الذى هو أعظم فى الابن الذى هو أصغر منه[2] ". كما أبطل آريوس مقولة أثناسيوس السابقة بقوله : " لو كان الابن بحسب رأيكم هو موجود أزليا مع الله لما كان قد جهل ذلك اليوم بل لكان عرفه باعتباره أنه هو الكلمة ، ولما كان قد تركه ذلك الذى هو كائن معه ، ولما كان قد سأل أن ينال المجد طالما أن له هذا المجد مع الآب ، ولما كان قد صلى على الإطلاق إذ إن الكلمة ليس فى احتياج إلى أى شىء ، ولكن حيث إنه مخلوق وواحد من الموجودات . لذلك تكلم هكذا ، وكان محتاجا إلى ما لم يكن عنده لأنه معروف عن المخلوقات أنها تسأل الأشياء التى لا تملكها وتحتاج إليها[3] ...".

على أية حال فقد طرحت أمام المجمع ثلاثة آراء :

الأول : وتزعمه آريوس ويسانده سبعة عشر أسقفا على حد قول المؤرخ الكنسى سوزمين[4] ، وقرابة العشرين أسقفا على حد تعبير أحد مؤرخى الكنيسة المتأخرين منهم يوسابيوس أسقف نيقوميديا ، وثيودوتوس أسقف اللاذقية ، واثناسيوس أسقف عين زربة ، وغريغوريوس أسقف بيروت[5] ، وقد سبق تفصيل الكلام عن هذا القول .

الثانى : وتزعمه الكسندروس وأثناسيوس المرافق له ، مع تأييد الإمبراطور ومستشاره هوسيوس لهذا القول ، وقد سبق الحديث عن نص قولهم .

1- أنظر : رسائل اثناسيوس الرسولى عن الروح القدس ، تعريب مرقس داود ، الرسالة الثانية ، ص86-88.

2- أثناسيوس ، المقالة الثالثة ضد الآريوسيين ، ترجمة مجدى وهبه ، ونصحى عبدالشهيد ، مؤسسة القديس أنطونيوس ، القاهرة ، ط2 ، 2007م ، ص10،11.

3- نفسه ، ص56.

4-Sozomen: Ecclesiastical History, Tran. By Chester D. Hartranft, Book I, XX-XXI, pp. 562.

5- أسد رستم ، كنيسة مدينة الله ، 202/1 ; وانظر : Earle E , cairns chris , through the centuries , p.13.

obeikandl.com

الثالث : قول قال به أحد أتباع آريوس وهو يوسابيوس أسقف قيصرية فلسطين زعم أنه أراد به ان يضع تسوية بين طرفى النزاع ، ومن ثم ادعى أن المسيح لم يخلق من العدم كما قال آريوس ، بل هو مولود من الآب منذ الأزل وقبل خلق العالم ، ومن ثم فهو من عنصر أو طبيعة مشابهة لطبيعة الآب وعنصره [1].

زادت حدة الجدل والنقاش بين الطرفين خاصة مع تأييد أسقف نيقية نفسه لآريوس واتباعه ، فضلا عن ثقة الآريوسيين فى أنفسهم وفى حججهم ، إلا أن قول يوسابيوس أسقف قيصرية فلسطين جاء فرصة للخصوم فاستغلوه فى دعم دعواهم بأن المسيح من نفس جوهر الآب ، هنا تدخل الإمبراطور وحسم الأمر بالصيغة التى اتفق معه عليها أسقف بلاطه حيث قرر المجمع بضغط من الإمبراطور- الذى جعل من نفسه عالما للاهوت – " أن الابن أى المسيح من نفس جوهر الأب ، وبالتالى قرر قدسية المسيح وأنه إله حق من إله حق ، وقرر أيضا حرمان آريوس وأصحابه ولعنه وكل من قال بمقالته ، ووضع قانونا عاما للإيمان المسيحى أوله نؤمن بإله واحد " أى أن الثالوث واحد" لا ينقسم [2].

جاءت قرارات مجمع نيقية فى عشرين قرارا ، وتمثلت القرارات التى صدرت بشأن الآريوسيين ومن عاونهم فى النحو التالى :

1- إثبات ألوهية المسيح وتقرير عقيدة التثليث .

2- تكفير مَن يذهب إلى القول بأن المسيح إنسان .

3- تكفير آريوس وحرمانه وطرده .

4- إحراق جميع الكتب التي لا تقول بألوهية المسيح ، أو تحريم قراءتها ومن هذه الكتب أناجيل فرق التوحيد التي تقرر بشرية المسيح في أنه رسول فقط ومنها إنجيل برنابا ، وتم اختيار أربعة أناجيل على أساس التصويت ، هي : متى ومرقس ولوقا ويوحنا.

1- Earle E , cairns chris , through the centuries , p.144.

2 -Sozomen: Ecclesiastical History, Tran. By Chester D. Hartranft, Book I, XX-XXI, pp. 562-564 ; 71 وانظر : ميشيل جرجس ، الكنيسة المصرية ، ص the british and foreign Unitarian assoclation , englanf , p.50-59. ، رمسيس عوض ، الهرطقة فى الغرب ، ص74.

5- حرق كتب الآريوسية كاملة بحيث لا يبقى لها ذكر أو أثر ، وإدانة من يقوم بإخفائها ، والحكم عليه بالموت ، وعلى رأس هذه الكتب كتاب الثاليا لآريوس[1].

6- نفي صديقين لآريوس إلى بلاد الغال هما أوسابيوس أسقف نيقوميديا, ويثوجنس أسقف نيقية, لايوائهما آريوسيين منقطعين عن الشركة , وعين مكانهما أسقفين آخرين[2].

7- حرمان ميليتوس أسقف ليكوبوليس من ترسيم رجال الدين واحتفاظه بلقب أسقف كلقب شرفى فقط .

8- عدم قبول أصحاب بولس السميساطى ومن كان فى درجتهم إلا إذا اعتمدوا فى الكنيسة لأن عمادهم الذى نالوه من هيئة الهراطقة لم تتوفر فيه كل الشروط خصوصا الإقرار بالثالوث الأقدس[3].

وتجدر الإشارة إلى أن مساندة قسطنطين لأثناسيوس الوثنى الأصل - حسب نص بعض المصادر المسيحية[4]- وصيغته التثليثية فى مجمع نيقية تعود إلى عدة أمور :

1-Sozomen: Ecclesiastical History, Tran. By Chester D. Hartranft, Book I, XX-XXI, pp. 562 . 282، وانظر : رأفت عبدالحميد ، الفكر المصرى

2-Sozomen: Ecclesiastical History, Tran. By Chester D. Hartranft, Book I, XX-XXI, pp.563.

3- للمزيد من المعلومات عن جلسات المجمع وقراراته أنظر : إيسيذورس، الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة ، 1/293-296 ; ابن البطريق ، التاريخ المجموع ، ص126 ، 127 ; القرطبى ، الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام ، تحقيق أحمد حجازى السقا ، دار التراث العربى ، 1/17 ; كيرلس الأنطونى ، عصر المجامع ، 1952 ، ص27-79 ; ول ديورانت ، قصة الحضارة ، 11/394-396 ; رأفت عبدالحميد ، الدولة والكنيسة ، 2/63- 73 ; ليلى عبد الجواد اسماعيل ، تاريخ مصر فى العصر البزنطى، دار الثقافة العربية، القاهرة ، ص42 ; رمسيس عوض ، الهرطقة فى الغرب ، ص74،75.

4- ساويروس بن المقفع ، تاريخ البطاركة ، 1/378،379 ; وانظر: The religious union of free protestant german Unitarians , germany , p.12-15. ، وقد حاول بعض مؤرخى وآباء الكنيسة المتأخرين أن يثبتوا أن أثناسيوس نشأ لأبوين مسيحيين من خلال ورقة من مخطوط مفقود استظهر منها ذلك ، ولكن انى يكون ذلك ولا ندرى ما اسم المخطوط ولا تاريخه . أنظر : عن هذه القضية الأب متى المسكين ، القديس اثناسيوس الرسولى ، ط1 ، 1981م ، ص26 ; وعن الأثر الوثنى فى فكر أثناسيوس من خلال ردوده على الآريوسيين أنظر : المقالة الثالثة ، ص18.

obeikandl.com

الأول : أن كلا منهما كان ذا أصل وثني ، ومن ثم فالحنين لأصلهما جمع بينهما[1].

الثانى : غلبة النقاش حول ناسوت المسيح ولاهوته على كنيسة الإسكندرية ، فى الوقت الذى كان أثناسيوس يحتل مركزا دينيا بالكنيسة ، فضلا عن قدرته على إقحام بعض الأفكار الوثنية كالتثليث فى الديانة المسيحية بطريقة جدلية لقيت استحسان طائفة من المسيحيين .

الثالث : أن أسقف البلاط كان قد توصل إلى تفاهم مع الأسقف الكسندروس بدعم وجهة نظر التثليث التى هى فى الأصل فكرة وثنية ، وأقنع بها الإمبراطور قبل عقد مجمع نيقية الذى أقر التثليث رسميا.

الرابع : أن الغلبة فى الغرب الأوربى كانت للمذهب الذى يدين به أثناسيوس ، ومن ثم ساند قسطنطين أثناسيوس طالما أن عاصمته كانت فى الغرب ، لكنه عندما فكر فى نقل عاصمته للشرق ووجد الغلبة لآريوس غير مذهبه ليسترضى أهالى الجزء الشرقى من الإمبراطورية[2].

إن قانون الإيمان النيقياوي كان فى الظاهر نتيجة جهد مجموعة صغيرة من اللاهوتيين, جمعوه أثناء النقاش والاقتراحات المتنوعة ورأوا فيه شهادة لإيمانهم وفى الباطن كان بتحريك من أوسيوس والكسندروس اللذان طلبا من الإمبراطور قسطنطين التدخل فى الوقت المناسب لحسم الأمر وهو ما تم بالفعل فى حين أن الإمبراطور لم يكن يدرى عن هذه الخلافات شيئا ، بل لم يكن قد عمد على المسيحية أصلا [3].

لقد استتبع هذا القانون بسلسلة من الحرمانات تهدف إلى إدانة الطروحات الآريوسية أو إلى التدقيق فى معنى التعابير الأقل شيوعا والموجودة في دستور الإيمان النيقياوى , وبالفعل فإن إدانة تعابير مثل " كان وقت لم يكن فيه موجودا" أو " خلق من عدم" أو "لم يكن قبل أن

1- عبرت المصادر المسيحية عن قسطنطين بقولها " جمع بين الإيمان المسيحى والميل إلى الوثنية" ، كما ذكرت أيضا أن قسطنطين بقى وثنيا طيلة حياته ولم يعمد مسيحيا إلا على فراش الموت بعد مجمع نيقية بنحو اثنتى عشرة سنة .

2- سعيد عاشور ، تاريخ أوربا العصور الوسطى ، 58/1.

3- إيسيذورس، الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة ، 293/1 ; وانظر : إدوارد جيبون ، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها ، 440/1.

obeikandl.com

يولد" كان هدفها إدانة التعاليم الآريوسية. أما إدانة تعبير مثل " ابن الله هو من جوهر آخر أو ذات أخرى" فيعني إدانة لكل من يقول أن الآب غير مساو للابن ، كما يعني التدقيق في معنى المساوي في الجوهر، وهكذا استبعدت كل إمكانية للربط ما بين المساواة والتشابه في الجوهر.

ويتضح مما سبق الآتى :

أولا : أن البابا الكسندروس هو الذي بدأ باستخدام عبارة للتعبير عن مساواة الابن للآب في الجوهر، وهي العبارة التي دافع القديس أثناسيوس الرسولي طوال حياته عنها وكتبها في قانون الإيمان.

ثانيا : أن الإمبراطور رعى هذا المجمع وهو لا يزال على صلة قوية بوثنيته إذ لم يكن وقتها نصرانياً حقا ، وقد اختلفوا فيه : هل تعمّد على فراش الموت وانتقل إلى النصرانية أم لا ! ، مع ملاحظة أن القائلين بتعميده وانتقاله قالوا إنه تعمّد على مذهب آريوس[1]، وهذا من الغرائب!

ثالثا : أن الإمبراطور كان في بداية حكمه يعاني من انقسامات دينية وسياسية ، فخاف على دولته من الانهيار ، فرأى أن يعتمد على النصارى في سبيل توحيد الإمبراطورية ، فأقر بمرسوم ميلان 313م التاريخي الذي يقضي بالتسامح الديني بعد أن كان النصارى يتعرضون لأشد صنوف العذاب من القتل والصلب وقطع الأعضاء على يد الرومان بتحريض من اليهود ، ولكنه تفاجأ بانقسام النصارى في أنفسهم إلى طوائف كثيرة تكفر بعضها بعضها ، ولكل طائفة إنجيل لا تعتمده الطوائف الأخرى ، فدعاهم إلى هذا المجمع ليقضي على خلافاتهم .

رابعا : أن الإمبراطور لم يكن مهتما بخدمة المسيحية أو معرفة الدين الصحيح من بين هذه الاختلافات ، ولكنه حاول توظيف الدين لخدمته وتوحيد إمبراطوريته ، وليس أدل على ذلك من وصفه لمسألة تتصل بصلب ديانة بأكلمها بأنها " وضيعة وتافهة ، وسوقية " ، فضلا عن وصفه لمسلك كل من آريوس الكسندروس بأنه " عبث وغباء وحماقة صبيانية[2]". لقد

---

[1]- جيبون ، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية ، 441/1 ; وانظر : سعيد عاشور ، أوربا العصور الوسطى ، 59/1 ; وانظر : The religious union of free protestant german Unitarians , germany , p61. ; بربارا واترسون : أقباط مصر ، ص70.

[2]- نقلا عن رأفت عبدالحميد ، اغتيال آريوس ، ص63.

obeikandl.com

كانت مصلحة قسطنطين هى التى تحركه فقد دافع عن الإيمان النيقياوى ، ثم تحول للدفاع عن المذهب الآريوسى ومع ذلك فقد احتفظ بعبادة الوثنية القديمة ورجالها ومعابدها وطقوسها ، كما احتفظ كأسلافه من الأباطرة بلقب الكاهن الأعظم ، كما أنه احتفظ فى بلاطه بالكهنة والفلاسفة الوثنيين إلى جانب القساوسة والأساقفة من مختلف المذاهب المسيحية ، ومن ثم يمكن القول بأن قسطنطين ظل حتى أواخر حياته وثنيا مع الوثنيين وأريوسيا مع الآريوسيين وأثناسيوسيا مع الأثناسيوسيين[1].

خامسا : أن هذا المجمع قد أقر بالأغلبية البسيطة – إن جاز لنا أن نصفها بالأغلبية فى تضارب الآراء حول العدد الحقيقى للحضور – بناءً على تأثير كبير من الإمبراطور الوثني الذي كان سبباً في دخول العقائد الوثنية في النصرانية ، ومن ثم فقد انتهى هذا المجمع إلى المزج بين النصرانية والوثنية التي كان عليها الرومان ، إذ إن عقيدة التثليث كانت منتشرة عند الرومان وعند أهل فارس .

سادسا : أن الذين وقعوا على قوانين هذا المجمع إنما وقعوا عليها خوفاً من سيف الإمبراطور قسطنطين –صاحب النزعة الوثنية آنذاك –، أو طمعاً في رضاه . فممن وقعوا خوفاً من سيف قسطنطين يأتي يوسابيوس أسقف نيقوميديا ومجموعته . أما من وقعوا تقرباً للإمبراطور فيأتي على رأسهم يوسابيوس القيصري المؤرخ الكنسي الشهير فقد وقعوا بالرغم من عدم إرتياحهم ويصف ذلك المؤرخ الكنسي جون لوريمر بقوله : (ولم تشعر المجموعة الرئيسية الكبرى بزعامة يوسابيوس بالإرتياح[2]) ، ويقول أيضاً : (مع أن مجمع نيقية يعتبر أحد المعالم الخطيرة في تاريخ الكنيسة إلا أن قراراته لم تحسم الخلافات نهائياً . وكما رأينا. فحتى الذين وقعوا على القرارات واللوائح كانوا ذوي اتجاهين فكريين . وواضح جداً أن يوسابيوس أسقف نيقوميديا ولو أنه وقع على القانون ، لكنه كان في الواقع مقتنعاً بالرأي الآريوسي ، وكذلك لم يكن يوسابيوس أسقف قيصرية . وهو شبه آريوسي . لم يكن مستريحاً للرأي الأرثوذكسي على النقيض الآخر) .

---

[1]– سعيد عاشور ، أوربا العصور الوسطى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط5 ، 1972م ، 1/55،56 ; وانظر : أندرو ميلر ، مختصر تاريخ الكنيسة ، 1/262.

[2]– أنظر: تاريخ الكنيسة ، 3/ 50 .

سابعا : أن قرار المجمع بحرق كل الوثائق المخالفة لما عليه قرارات المجمع أدت إلى حرق العديد من الأناجيل القديمة التراثية ، والتى عول عليها آريوس وأتباعه فى إثبات بشرية المسيح بل من سبق آريوس أصلا ، الأمر الذى يهيل التراب على ثلاثة قرون منصرمة قبل مجمع نيقية كانت تتعامل بهذه الأناجيل التى صدر الأمر بإحراقها خاصة وأن ترتليانوس (160-220م) - أول من استخدم مصطلح التثليث - اعترف بأن غالبية الشعب فى أيامه كانوا ينظرون إلى المسيح باعتباره إنسانا[1].

ثامنا : أجمعت المصادر التاريخية للديانة النصرانية على أن مجمع نيقية هو أول مجمع دينى عالمى للبت فى طبيعة المسيح عيسى بن مريم ، والذى أصبح الأساس الذى قامت عليه العقيدة المسيحية فيما بعد ، وهو ما يدعونا للتساؤل ماذا عن معتقد أصحاب القرون السابقة لمجمع نيقية ؟ ولماذا اعتمد المجمع قرارا بحرق الأناجيل المخالفة لقراره ؟ لا سيما أن بعض هذه الكتب اعترفت بها المجامع من بعده وأجمعت عليها بعد أن طالتها يد التحريف ومنها رسالة بولس إلى العبرانيين ، والرسالة الثانية لبطرس ، والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا ، ورسالة يعقوب ، ورسالة يهوذا ، ومشاهدات يوحنا[2].

تاسعا : أن كل رقم من الأرقام التى ذكرت بشأن عدد المجتمعين تعبر عن دلالة رمزية لدى الأرثوذكسيين فالرقم 2048 يمثل عدد السنين من عهد إبراهيم عليه السلام إلى وقت صلب المسيح حسب معتقدهم ، والرقم 318 يمثل عدد غلمان إبراهيم الذين انتصر بهم على الملوك الذين اسروا لوطا ابن أخيه واستولوا على ممتلكاته ، والرقم 250 فرقم مشئوم لأنه يمثل عدد الرجال الذين ضلوا مع قورح بن يصهار بن قهات بن لاوي وتعاونوا معه ضد النبى موسى وأخيه هارون ، فابتلعتهم الأرض جميعا لمخالفتهم نبى الله موسى[3] ، إن

1- أنظر : T.D.Barnes, Tertullian: a literary and historical study Oxford, 1971 ; international assoclation for religious freedom , Holland ,pp.294. ; Encyclopedia Americlana , 1959. vol.27. P.294 . كان ترتليانوس يقول : " بالإيمان الأعمى الذي يسمو على العقل ولا يستطيع العقل إدراكه".

2- محمد أبوزهرة ، محاضرات فى النصرانية ،ص118.

3- العهد القديم ، عدد 16 : 1-3.

obeikandl.com

تصميمهم على الرقم 318 سببه عدة أمور منها أنهم اكتشفوا الاضطراب فى عدد السنين بين إبراهيم وصلب المسيح حسب معتقدهم ، ومن ثم تخلوا تماما عن الرقم 2048 ، كما تخلوا عن الرقم 250 لشؤمه ، ولم يتبق أمامهم رقما صالحا سوى 318 الذى ركن إليه اثناسيوس بعد العام 360م لأنه فى نظره يطابق حساب الحروف لثلاثة أحرف يونانية يرمز بها إلى يسوع المسيح والصليب ، وهى "IHT[1]".

عاشرا : أن الخلاف بين مؤرخى الكنيسة من القدامى والمحدثين على حضور آريوس مجمع نيقية من عدمه يهيل التراب على جل ما نقلته المصادر عن مناقشات شارك فيها آريوس ، ورد عليه كل من الكسندروس وأثناسيوس ، ومن ثم يؤكد قطعا أن أمر مجمع نيقية دبر بليل لتمرير ما تم تمريره لا سيما وأن آريوس كان صاحب قدرة جدلية لا يجاريها أحد لا أثناسيوس ولا غيره ، لذا علينا أن نضع فى الحسبان ونحن نناقش هذه القضية ما ذكره أحد الباحثين النابهين المتأخرين عن هذه المسألة حيث قال : " وبحث الآباء بدعة آريوس ، واستمعوا إلى بعض ما جاء فى كتابه الثاليا فسدوا آذانهم نافرين ، ولم يحضروه ولم يستنطقوه ، وأول من قال باستحضاره روفينوس ، وقوله ضعيف مردود [2].

حادى عشر : أن كلام سوزمين –أحد مؤرخى الكنيسة والمعاصر للأحداث – عن مجمع نيقية ونص الوثيقة التى سجلت بالمجمع واتفق عليها بشأن قانون الإيمان يؤكد بما لا يدع

1– حسنى يوسف الأطير ، عقائد النصارى الموحدين ، ص60.

2– أسد رستم ، كنيسة مدينة الله ، 202/1 ; تيرانيوس روفينوس تقابل مع النبيلة الأسبانية الأصل والرومانية الموطن ميلانية الكبيرة (جدة ميلانية الصغيرة) في روما، واصطحبها مع آخرين في رحلتها السياحية إلى الشرق وقيل إن ذلك كان عام ٣٧٣ م، وقد زاروا الأديرة المصرية. ورافق القديسة ميلانية إلى نتريا حيث القديس إيسوذورس وأنبا ديوسقورس أسقف دمنهور، ثم رجعت إلى فلسطين بعد أن قضت ستة أشهر في زيارة آباء البراري المصرية. وقد رغب هؤلاء الرحالة في الإقامة الدائمة في مصر لولا الاضطهاد الآريوسي حسب تعبير المصادر المسيحية،ويقرر روفينوس في دفاعه (تحت رقم ٤٦٦) أنه مكث ست سنوات في مصر حيث قابل العديد من قديسي البراري الذين كتب عنهم، وأنه رجع مع زملائه إلى مصر مرَّة ثانيًة لمدة عامين، ويرجح أن رحلتهم الأخيرة هذه بدأت عام ٣٩٤ م، ولما وصلوا إلى نتريا كان أنبا مقار الإسكندراني قد توفي منذ قليل . وقد وصف روفينوس كل ما رآه وسمعه بدّقةٍ، وبفضله عبر جزءٌ كبير من أعمال (أي سير وكتابات) القديس المصري أنبا مقار محيط العصور المظلمة، وفي حين فُقِد هذا الجزء من اللغة اليونانية فقد بقي في اللاتينية.

مجالا للشك أن أمر مجمع نيقية دبر بليل لتشويه المعتقد الآريوسى ، وطمس معالم المذهب فى مؤامرة عالمية حضرها الإمبراطور البيزنطى ومجموعة من رجال الدين المسيحى الذين اتفقوا فيما بينهم على تنفيذ هذا المخطط مسبقا ، وهذا نص كلام المؤرخ الكنسى سوزمين : " وقد ارتأيت أنه من الواجب نسخ الوثيقة نفسها الخاصة بالموضوع ، كنموذج للحقيقة ، حتى تمتلك الأجيال القادمة شكلا واضحا وثابتا لنموذج الإيمان الذى تبين أنه صانع للسلام ومصلح في ذلك الوقت، ولكن لأن بعض الأصدقاء الصالحين، الذين يفهمون هذه الأمور، نصحوا بأنه يجب أن لا يتحدث عن هذه الحقائق ويسمعها إلا المتخصصون فقط ، وأنا أتفق معهم، لأنه من المحتمل أن بعضا من غير المتخصصين يقرأون هذا الكتاب. وبينما أخفيت بعض المواد المحرمة لأننى يجب أن أصمت عنها، ولم أترك القارىء جاهلا عن الآراء التى اتفق بشأنها المجمع[1]" ، ولنا أن نتساءل معقبين على ما ذكره سوزمين . من هم هؤلاء الأصدقاء الصالحين الذين نصحوه بعدم الحديث عن حقائق مجمع نيقية ؟! ; وما هى المواد المحرمة التى أخفاها سوزمين عنا وعن الكثيرين ؟!! ; وما الذى دفع سوزمين أن يصمت عن ذكر هذه المواد ؟!

ثانى عشر : ما نص عليه مجمع نيقية من أن الإمبراطور خاطب بشكل خاص كنيسة نيقوميديا، وحثها على التمسك بالعقيدة التى أقرها المجمع، واختيار أساقفة ذوى عقيدة صحيحة وطاعتهم[2] . يؤكد ما ذهبنا إليه سلفا من أن مجمع نيقية كان بمثابة مؤامرة على العقيدة المسيحية الحقيقية التى كانت منتشرة فى العديد من بلدان العالم ومنها نيقوميديا التى كانت على قناعة تامة بأفكار آريوس ، ولذا جاء هذا المجمع ليغير المعتقد الصحيح للديانة المسيحية بشأن طبيعة السيد المسيح وعلاقته بربه وخالقه ; ولذا لنا أن نتساءل فى هذا المقام عن السبب الذى دفع الإمبراطور لمخاطبة كنيسة نيقوميديا وحثها على التمسك بعقيدة مجمع

1-Sozomen: Ecclesiastical History, Tran. By Chester D. Hartranft, Book I, XX-XXI, pp.562.

2 -Sozomen: Ecclesiastical History, pp.563.

نيقية ؟ ، وما هى العقيدة التى كانت سابقة فى نيقوميديا وغيرها من بلدان العالم المسيحى آنذاك قبل عقيدة مجمع نيقية التى فرضت على الناس بالحديد والنار ؟.

لم يضع مجمع نيقية حداً لمعركة آريوس والآريوسية ، ففي واقع الأمر كان هذا المجمع بداية المعركة الحقيقية التي واجهت الكنيسة رغم الحكم بالإدانة والحرمان واللعنة. فقد انتشرت الآريوسية لتسيطر على القرن الرابع باستقرارها في دار الإمبراطورية إذ تبناها قسطنطين وتنصر وفقا لعقيدة الآريوسية، ومن بعده ابنه الإمبراطور قنسطنطيوس Constantius ، حيث أصبحت الديانة الرسمية للدولة ، ومن الواضح أنها استمرت سائدة حتى عهد هرقل ، في القرن السابع ، بدليل أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حين وجه خطابه له (أى لهرقل) حمّله ذنب الأريسيين لو لم يسلم ويدخلهم معه في الإسلام[1].

لقد ظن الإمبراطور ومن صاغ له قرارات المجمع أن الآريوسيين لن تقوم لهم قائمة ، وهو الأمر الذى لم يحدث إذ راح الآريوسيون فى مصر وخارجها يذيعون فى الجموع أن مجمع نيقية لم يتوخ العدالة فى بحث الآراء الآريوسية ، وأن آريوس وأصحابه تم نفيهم دون وجه حق ، ومن ثم نجحوا فى استمالة الجموع العديدة لتأييد قضيتهم وإعادتها إلى الأنظار مرة ثانية ، وكان من جملة من ساند الآريوسية حزب ميليتوس الأسقف المغضوب عليه والذى صدر بحقه قرار من جملة قرارات مجمع نيقية[2] ، ومن ثم لاح فى الأفق نذر ثورة آريوسية عاصفة فى مصر ضد كل من ساهم فى إصدار القرارات ضدهم وضد مذهبهم ، وهو الأمر الذى عبر عنه إيوزيبيوس بقوله : " ساد السلام فى كل مكان إلا مصر وحدها ، لا زال يتأجج فيها أوار جدل مستعر ، أفسد على الإمبراطور سكينة مسرته[3]" .

1- عن نص خطاب النبى لهرقل أنظر : المباركفورى ، الرحيق المختوم ، دار إحياء التراث ، ص325 ; وعن كلمة الآريسيين أنظر : أحمد الحوفى ، كلمة الأَرِيسيّين في كتاب النبي صلّى الله عليه وسلّم إلى هرقل ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، جمادى الآخرة1400هـ/ 1980م، ج45 ص 77.69 ; وقد ذهب كل من أبى جعفر الطحاوى الحنفى المصرى ، أبى الحسن الندوي ومعروف الدواليبي إلى أن الأريسيين فى حديث النبى هم أتباع آريوس الذى نادى بالتوحيد.

2- متى المسكين ، القديس أثناسيوس الرسولى ، ص 71 .

3- نقلا عن ، رأفت عبدالحميد ، الدولة والكنيسة ، 74/2.

الجدير بالذكر أن يوسابيوس أسقف نيقوميديا نجح أكثر من أي شخص آخر في إقناع الإمبراطور بإعادة النظر في الفكر الآريوسي مرة ثانية ، ومن ثم عُقد مجمعا آخرا دعا إليه الإمبراطور قسطنطين في نيقية نفسها سنة 327م تم فيه حذف النقاط المتنازع عليها[1] ، وبذلك أصبح القانون يوافق الآريوسيين ، ومن ثم كتب الإمبراطور رسالة إلى إسكندر يطلب منه قبول آريوس والميليتيين أتباع ميليتوس فى الكنيسة[2].

وفي نفس العام 327م استدعى قسطنطين آريوس من المنفى – كان قد نفى إلى منطقة الليريكون (وهى مناطق جبلية شمال اليونان – ألبانيا والبلقان ألان) - وكذلك أعاد أصحابه إلى أسقفياتهم وذلك **لعدة أسباب :**

أولا : لمس قسطنطين بعد انقضاء سنتين على انعقاد مجمع نيقية أن قرارات المجمع رغم قسوتها لم تؤد النتائج المرجوة منها.

ثانيا : عودة المد الآريوسي إلى الظهور مجددا بفضل جهود اللوبي الآريوسي فى مصر وسائر ولايات الإمبراطورية البيزنطية إذ إن غالب الأساقفة فى المشرق كانوا يناصرون آريوس سرا أو جهرا . فضلا عن أثر اللوبى الآريوسى على الإمبراطور بشأن التسامح مع آريوس ومذهبه [3].

ثالثا : تردد الإمبراطور نفسه بين الاقتناع بالآريوسية تارة والإيمان الأرثوذكسى تارة أخرى , ومن ثم رأيناه يعفو عن الأساقفة الآريوسيين بل ويسهل لهم استعادة كراسيهم وسلطانهم حرصا على وحدة الكنيسة , وبالتالى وحدة الإمبراطورية وسلامتها سياسياً .

رابعا : كانت قسطنطينا أخت الإمبراطور قد أوصت الإمبراطور خيراً بآريوس وهى على فراش الموت , وكان لكاهنها الخاص ويدعى يوستاثيوس الآريوسى يداً فى هذا الطلب ، وقد حقق الإمبراطور وصية أخته فأرسل خطاباً إلى آريوس وهو فى المنفى يستدعيه للحضور للتحقيق فى مدى الظلم الذى حاق به فى مجمع نيقية[4].

1- جون لوريمر ، تاريخ الكنيسة ، 3/57 ،58.

2- رمسيس عوض ، الهرطقة فى الغرب ، ص77.

3- جيبون ، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية ، 1/440 ; وانظر : ول ديورانت ، قصة الحضارة ، 12/19.

4- جيبون ، مرجع سابق ، 1/441 ; وانظر : رمسيس عوض ، الهرطقة فى الغرب ، ص77.

opelkandil.com

خامسا : تحول أم الإمبراطور هيلانة هى الأخرى للمذهب الآريوسى ، مع بعض كبار رجال البلاط الملكى كان له أثره الكبير فى تحول موقف قسطنطين بشأن آريوس والآريوسية .

سادسا : تعرض أم الإمبراطور هيلانة للإهانة على يد يوسباثيوس أسقف أنطاكية وأحد أقوى أعداء الآريوسية أثناء زيارتها للأراضى المقدسة عام 326م[1].

بعد إطلاق سراح آريوس من منفاة إستأنف نشاطة مرة ثانية , وكان قد استغل آريوس وجوده فى المناطق الجبلية بشمال اليونان واستطاع أن يعلم أسقفين صارا عماد الفكر الآريوسى بعد ذلك على إمتداد نصف قرن من الزمان وهما : - الأسقف فالنس Valense of Mursa، والأسقف أورساكيوس Urascius of Belgradeكما نشط فى هذه المدة بعينها اثنان من أكبر أعوان آريوس وهما - :ثيؤجينيس أسقف صور الذى أطلق من منفاة بعد سنة واحدة ، وسكوندس أسقف برقة بشمال أفريقيا ، وكان أخطر أسقف آريوسى هو : الأسقف يوسابيوس ذئب نيقوميديا حسب وصف المخالفين له والذى أطلق سراحه من منفاة بعد سنة واحدة ، ومن ثم بدا نشاطه بجمع كل العناصر والقوى المقاومة للإيمان الأرثوذكسى فى أنحاء الأمبراطورية حوله, وتحكم فى أساقفة آسيا الصغرى ونواحى الشام .

ومن جملة المجموعة الآريوسية التى نشطت على المستوى السياسى يوسابيوس أسقف قيصرية مؤرخ تاريخ الكنيسة المشهور , فتحرك بحرية وسط الآريوسيين وتماشى معهم ومع الإمبراطور قسطنطين , وبالرغم من أنه فى كتاباته التاريخية كان من أشد المعجبين بكنيسة الإسكندرية والشعب المسيحى المصرى إلا أن فكره وكتاباته لم يخلوان من الآريوسية. كذلك انشق مليتيوس أسقف أسيوط عن الكنيسة القبطية ورسم أساقفة وكهنة وترك أبروشيته وأقام فى مدينة الإسكندرية مؤيدا للآريوسيين وكان معه خمسة وثلاثين أسقفاً يتبعهم عدة مئات من الكهنة والرهبان[2].

وعلى الجانب الآخر توفى الكسندروس في 17 نيسان سنة 328م وعين أثناسيوس مكانه، ولم يكن محبوبا لسلوكه العنيف وكثيرا ما اشتكاه السكندريين ، ومن ثم فلا غرو أن

1- رمسيس عوض ، الهرطقة فى الغرب ، ص77.

2- Athanas, apologia contra arianos ,p.71.

obeikandi.com

يعتَرَض على تولِّي إثناسيوس كرسي كنيسة الإسكندرية خمسة وثلاثين أُسقُفًا من مختلف محافظات مصر، يتزعَّمهم ميلتوس أُسقف أسيوط، الذي استمرَّ على موقفه حتى توفي عام 330، ثم خلَفَه في رئاسة حزبه يوحنا أركاف الذي اشتَهَر بعدائه لأثناسيوس[1].

كان يوسابيوس الآريوسى أسقف نيقوميديا قد صار صديقاً حميماً للإمبراطور قسطنطين كما أسلفنا[2] ومن ثم أوعز للأساقفة التابعين له بمهاجمة مقررات مجمع نيقية لا سيما وأن الموالين لمجمع نيقية كانوا قلة وضعفاء بهذه المنطقة فبدأوا بيوستاثيوس أسقف مدينة أنطاكية الذى اتهم بالهرطقة والجنوح لتعاليم البدعة السابيلية ، مع عدة تهم أخلاقية منها علاقته بامرأة مشبوهة ، وأنه أساء سمعة الإمبراطور قسطنطين ، فأسقطوه عن كرسيه نهائياً بقوة البوليس المدنى[3] كما أطاحوا ببوتروبيوس أسقف أدريانوبل عن كرسيه ونفوه ، ثم أطاحوا بجماعة من أتباع الإيمان النيقياوى وهم يوفراتيوس أسقف بالانبا ، وكيماتيوس أسقف بالتوس ، وكاتيروس أسقف أنترادوس ، وأسكليباس أسقف غزة ، وكيريوس أسقف بيريا بإقليم سوريا ، وديودوروس أسقف آسيا ، ودومينون أسقف سيرميم , وهلانيكوس أسقف تريبوليس وانتهى الحال باستصدار أوامر من الأمبراطور بتغيير الأساقفة وإقامة أساقفة آريوسيين بدلاً منهم . وانقضوا على مارسيللوس أسقف إقليم غلاطية الذى كان من المتصدين ليوسابيوس النيقوميدى الآريوسى .كما انقضوا على بولس أسقف القسطنطينية وأستطاعوا بمعونة الأمبراطور أن يسقطوه عن كرسيه عدة مرات ونفيه إلى عدة مدن , حتى مات فى جبل القوقاز والسلسلة فى يديه[4] !!.

نجح كذلك يوسابيوس النيقوميدى والمليتيون أتباع ميليتوس فى تأسيس تحالف معا لمناصرة الآريوسيين ضد النيقيين وزعيمهم أثناسيوس ، ولتحقيق ذلك وضعوا الخطط وانتهزوا الفرص لتحقيق مآربهم فقد أبحر ثلاثة أساقفة ميليتيون سراً من الإسكندرية إلى

1- The religious union of free protestant german Unitarians , germany , p.18-23.

2- الأب متى المسكين ، القديس أثناسيوس الرسولى ، ص 76 .

3- وانظر : رمسيس Gwatkin, op. cit., pp. 73, 64 عوض ، الهرطقة ، ص77 ;.

4- Hist, Arian,4, 5, 6, 7.

openkan.com

عاصمة الإمبراطورية البيزنطية نيقوميديا ، ليقدموا عريضة إتهام ضد البابا أثناسيوس وهم : إيسيون أسقف أتريب[1], وإيدامون أسقف تانيس , وغاللينيكوس أسقف بيلوزيوم[2] بخصوص ملابس الكتان الخاصة بالكهنة[3] ، وأنه وضع قانوناً على المصريين يلزمهم بتقديمها كفريضة ، وهذا معناه أن أثناسيوس إغتصب حقاً من حقوق الحكومة الرومانية وهى فرض القوانين والضرائب ، حدث ذلك بينما كان اثنان من الكهنة المصريين وهما أبيس ومكآريوس من أتباع أثناسيوس فى العاصمة فكتب الإمبراطور لأثناسيوس بالحضور للعاصمة نيقوميديا [4].

وصل أثناسيوس إلى نيقوميديا ، وإذا بتهمة جديدة كانت تنتظر أحد الشاهدين من أتباع أثناسيوس وهو الكاهن مكآريوس حيث كان كودلوتوس الأسقف المليتى لمدينة سينوبوليس العلا قد رسم قساً اسمه إسخيراس ، والذى رفضه مجمع الإسكندرية سنة 324 م برئاسة الكسندروس ، ورغم هذا الرفض فقد ظل القس يمارس الكهنوت فى قريته إيرين بمنطقة مريوط وقام البابا أثناسيوس بإرسال سكرتيره مكآريوس ينذره أن لا يمارس خدمة الكهنوت بحسب أمر المجمع واقتحم عليه كنيسته , ومن ثم لجأ إسخيراس إلى المليتيين وكتب عريضة ذكر فيها أن الكاهن مكآريوس سكرتير البابا اقتحم كنيسته وكسر كأس الإفخارستيا (من الزجاج) وحطم المائدة (من الخشب) ووقعوا على عريضة الشكوى وأرسلت إلى يوسابيوس فى نيقوميديا , وهذا رفعها بدوره إلى الإمبراطور [5] ، ومن جملة التهم التى وجهت لأثناسيوس من قبل الملتيين تهمة قتل الأسقف أرسينيوس الذى رسمه يوحنا أركاف على مدينة إيسيله . كذلك وجد أثناسيوس نفسه أمام تهمتين جديدتين:

1- لا تزال أتريب باسمها حتى الآن وتقع ببنها محافظة القليوبية .

2- الفرما قديماً وتقع شرق بور فؤاد.

3- الملابس البيضاء التى ما زال الكهنة يلبسونها فى الخدمة حتى الآن.

4- Athanas, apologia contra arianos **,p.60**

وانظر: تادرس يعقوب ملطى ، الكنيسة القبطية الأرثوذكسية – كنيسة علم ولاهوت – طبعة تحضيرية ، 1986 م ، ص 76.

5- الأب متى المسكين ، القديس أثناسيوس الرسولى ،ص 83- 87

obeikandi.com

أولاهما : إرساله كيساً من الذهب لأحد أعداء الأمبراطور (الثائرين عليه) ويدعى فيلومينوس [1] .

وثانيهما : أنه وضع خطة لاعتراض وتعويق أسطول القمح السكندرى الذى يمد القسطنطينية بالغذاء [2] وبمجرد وصول الشكوى للإمبراطور قسطنطين إذا به يرسل أخاه دالماتيوس أحد حكام الشرق, ليتحقق من هذه التهم فاقترح عقد مجمعا فى قيصرية برئاسة يوسابيوس القيصرى (المؤرخ الكنسى المشهور) على أن يلتئم المجمع فى سنة 334 م [3] فقدم أثناسيوس إحتجاجه لدى الإمبراطور وأصر على عدم إمتثاله أمام محكمة قاضيها من الآريوسيين.

وفي العام 333م ألح آريوس على قسطنطين أن يعيد الشركة مع أثناسيوس طالما لم يعد منفيا ، وأرسل آريوس رسالة الى أثناسيوس لكنها للأسف فى حكم المفقود ، ولا ندرى من السبب فى فقدها تحديدا ؟ ، ولماذا لم يذكرها أثناسيوس فى ردوده على الآريوسية ؟!! .

طلب قسطنطين من أثناسيوس أن يستقبل آريوس عملا برأى الأخير وأراد قسطنطين بذلك أن يستتب الأمن في مصر وأن يردع أثناسيوس عن العنف ، ويحل قضية آريوس نهائيا[4] لا سيما وقد أحدَثَ الآريوسيون القلاقل في مصر بتشجيع أنصار ميلتوس الأسيوطي، وكان أكثر أهل مصر آريوسيين ، فغلَبُوا على كنائس مصر، ووثَبُوا على أثناسيوس بطريرك الإسكندرية ليقتلوه، فهرَبَ منهم واختَفى. لذلك عقد الإمبراطور قسطنطين في عام 334 مجمعا في قيصرية فلسطين عند صديقه يوسابيوس . إلا أن أثناسيوس لم يذهب لحضوره[5] . مما اضطر قسطنطين لعقد مجمع آخر في صور سنة 334م ، وكان بولينوس أسقف صور آريوسيا ، وكانت الدعوة التي وجهها قسطنطين بشأن المجمع واضحة إذ

1– Athanas, apologia contra arianos,p. 60– 63

;وانظر : جيبون ، سقوط الإمبراطورية الرومانية ، 446/1

2– Athanas, apologia contra arianos, p.87 ; 70 بربارا واترسون : أقباط مصر ، ص

; وانظر : جيبون ، مرجع سابق ، 449/1 ; رأفت عبدالحميد ، اغتيال آريوس ، ص62.

3– وانظر : جيبون ، مرجع سابق، 446،447،/1 ; Gwatkin, op. cit, p, 84

4– متى المسكين ، القديس أثناسيوس الرسولى ، ص 56.

5– The religious union of free protestant german Unitarians , germany , p.47.

نصت على أنه : لابد للأمن أن يعود وعلى بعض الأساقفة أن يعودوا إلى رشدهم (يقصد أثناسيوس) وهدد بفرض عقوبات على الذين يرفضون الحضور فاضطر أثناسيوس للذهاب ، وحضر معه ثمانية وأربعون أسقفا مصريا من الموالين له[1].

افتتح المجمع برئاسة أسقف أنطاكية الآريوسي فلاقيليوس وأعيد فتح الملفات القديمة ، واشتد النقاش بين أثناسيوس والآريوسيين ، ولم يقتصر الأمر على النقاش القولى بل امتدت الأيدى إلى أثناسيوس وسال منه الدم وكاد أن يقتل ، ولم يخلصه من أيديهم إلا ابن أخت الإمبراطور[2]، وانتهى المجمع إلى خلْع أثناسيوس من منصبه، وقَبول الميلتيين في الكنيسة ، وأعقب ذلك نفي الإمبراطور قسطنطين لأثناسيوس (إلى الشمال إلى تريرtriar في بلاد الغال (فرنسا) ، 7 نوفمبر 335م ، وكان هذا أول نفي له[3].

وهكذا انتصر التكتل الآريوسي على النيقيين ، مما كان له أكبر الأثر فى انتشار الآريوسية بمصر وولايات الإمبراطورية لعقود تالية.

انتقل المجمع من صور إلى أورشليم سنة 335م لتكريس كنيسة القيامة , وللاحتفال بمرور ثلاثين عاما على تولي قسطنطين العرش ، وبهذه المناسبة انضم كل الآريوسيين إلى الشركة في الكنيسة ولكن كان الغائب الأكبر آريوس الذي توفي فجأة[4] في المراحيض العامة بعدما دسوا له السم على حد تعبير مؤرخ شهير هو جيبون[5]، وهكذا مات آريوس شهيدا من أجل صون وحدانية الله ، وقد قرر المجمع رد الاعتبار إلى آريوس وقبل فى شركة الكنيسة ، ووقعت فى الإسكندرية المصادرات والإهانات ضد الذين رفضوا قبوله من كهنة الإسكندرية أتباع أثناسيوس ، ونفى أثناسيوس أسقف الإسكندرية إلى ولاية نائية[6].

1- رمسيس عوض ، الهرطقة ، ص78.

2- ابن البطريق ، التاريخ المجموع ، ص131،132 ; وانظر : محمد أبوزهرة ، محاضرات فى النصرانية ،ص119،120.

3- وانظر : عزيز سوريال ، تاريخ المسيحية ، ص36. the british and foreign Unitarian assoclation , englanf , p.62,63.

4- جيبون ، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية ، 441/1

5- نقلا عن رأفت عبدالحميد ، اغتيال آريوس ، ص55.

6- جيبون ، مرجع سابق ، 441/1; وانظر : الأب متى المسكين، القديس أثناسيوس الرسولى ، ص 112; وانظر :Hist. of the Arians, Part 1, 1, 2 ; رمسيس عوض ، الهرطقة ، ص78.

Obeikandl.com

وبعد وَفاة الإمبراطور قسطنطين سنة 337م [1] تولي ابنه قنسطنطيوس Constantius الجانب الشرقى من الإمبراطورية . فعمل على نشر الآريوسية فى الولايات التى تحت سيطرته ومن جملتها مصر .

وفى العام التالى لولاية قنسطنطيوس Constantius 338م عاد أثناسيوس إلى الإسكندرية فثارَ عليه الآريوسيون وذكروا الإمبراطور بأن أثناسيوس قد تم إدانته في مجمع صور وأورشليم 334، 335م ، ومن ثم عقدوا مجمعًا في أنطاكية حكموا فيه بعزْل أثناسيوس من كرسي كنيسة الإسكندرية، مما اضطرَّه للهرب إلى روما [2] ، وقام الإمبراطور بتعيين جريجورى الكبادوكى الأسقف الآريوسى ليحل محل أثناسيوس على كرسى كنيسة الإسكندرية فى العام 339م [3].

ومن مقولة لأثناسيوس عقب هروبه يتضح الأثر الآريوسى حيث قال : " أسمع الآريوسيين يثرثرون فى شأنى ويفضحوننى ويفوننى بالجبان لأننى لم أدعهم يقتلوننى[4] ".

ومن خلال رسائل أثناسيوس لأتباعه من القساوسة يتضح ازدهار المذهب الآريوسى بمصر ومن ذلك رسالته فى 20 برمودة سنة 339م التى جاء فيها : إلى الشركاء فى الخدمة فى كل مكان , السادة المحبوبين , يرسل أثناسيوس تمنيات العافية فى الرب إن آلامنا المريعة التى نعانيها قد صارت فوق الطاقة ومن العسير أن نصفها لكم بما يناسبها من تعبير , ولكن لكى تدركوا بصورة واضحة طبيعية هذه الحوادث المريعة التى حدثت رأيت أنه من الخير أن

---

[1]- قسمت الدولة البيزنطية بعد وفاة قسطنطين على أبنائه الثلاثة قسطنطين الثانى وقنسطنطيوس Constantius وقنسطانز ، وقد مات الأول سنة 340م ، والثالث سنة 350م ، واستطاع قنسطنطيوس Constantius أن يوحد الإمبراطورية تحت سيطرته من العام 350م حتى العام 361م.

[2]- جيبون ، مرجع سابق ، 450/1 ; وانظر : The religious union of free protestant german Unitarians , germany , p.126,127. ; عزيز سوريال ، تاريخ المسيحية ، ص36 ; رمسيس عوض ، الهرطقة ، ص78،79.

[3]- رأفت عبدالحميد ن الفكر المصرى ، ص301 ; وانظر : الأب صبحى حموى اليسوعى ،القديس اثناسيوس السكندرى ، ص12.

[4]- نقلا عن الأب صبحى حموى اليسوعى ، القديس أثناسيوس السكندرى ، ص24.

obeikandl.com

أذكركم بما يماثلها بما جاء فى تاريخ الأسفار المقدسة.... ثم يستشهد أثناسيوس بقصة الرجل اللاوى الذى أسئ إليه فى شخص زوجته كما ورد فى سفر القضاة ثم يمضى بعد ذلك ليقول :

ولكن الآن أعضاء الكنيسة كلها ممزقة بعضها عن بعض , وها نحن مرسلوها إليكم (فى أشخاص الكهنة والأساقفة المرسلين) هنا وهناك , لكم ولغيركم , حاملين إليكم صورة الإهانات والإساءات التى حلت بهم , عساكم تتحركون بالغيرة , أرجوكم معتبرين أن هذه الإساءات إنما حدثت لكم كما لنا ، وليس بأقل , عسى كل واحد منكم يقدم معونة كمن يشعر فى نفسه بنفس الألم لئلا بعد قليل تتلوث الكنيسة فى أيمانها , وقوانينها تنتهك !! لأن الكل فى خطر إذا لم يتدارك الرب الأمر بواسطتكم وبأيديكم يصلح ما فسد !

أتوسل إليكم لا تستهينوا بهذه الحوادث , ولا تسمحوا أن تداس كنيسة الإسكندرية العظيمة تحت أرجل الهراطقة وبأعمال العنف هذه استولى الوالى على الكنائس وأعطاها لجريجوري وللآريوسيين مختلى العقل .

وفى سنة 340 م كتب أثناسيوس رسالة مختصرة إلى كهنة الإسكندرية حدد فيها ميعاد الفصح الذى وقع فى هذه السنة وكان فى 4 برمودة , وقد كلف القديس سيرابيون أسقف مدينة تمويس أو تمى (تمى الأمديد الآن) بالإعلان عن ميعاد الفصح فى حين حدد جريجوري الكبادوكى الأسقف الآريوسى يوم الفصح فى 27 برمهات ويبدو أنه قصد بهذه المغايرة إهمال قرارات مجمع نيقية.

ومما يؤكد حقيقة الانتشار الآريوسى ما وصل إلى أثناسيوس وهو مختفى أن ثيودور أسقف أوكسيرينكوس (البهنسا) من كبرى مدن الصعيد قد انضم فى الشركة مع جريجورى الكبادوكى الآريوسى ، ومما يؤكد هذا الانتشار الآريوسى قول ابن المقفع : " وكانوا (الآريوسيون) أصحاب الملك قد انتشروا فى كل مكان ، وكان سرابيون أسقف تمى الأمديد (إحدى قرى الدقهلية) يكاتب البطريرك أثناسيوس وجميع الشعب أن يتحفظوا من الآريوسيين[1]" ، وهو ما يؤكده أيضا ابن البطريق بقوله : " وفى ذلك العصر غلبت مقالة آريوس على القسطنطينية وأنطاكية وبابل والإسكندرية[2] ..." .

1- أنظر : تاريخ البطاركة ، 1/295،294.

2- أنظر : التاريخ المجموع ، ص135.

Obeikandl.com

وفي عام 341 عُقِد في أنطاكية مجمع حضَره 97 أُسقفًا شرقيًّا، سنُّوا مجموعة من القوانين تتَّفق والآريوسية، وترفُض أفكارَ أثناسيوس[1].

وفى العام 346م أطلق الإمبراطور قسطنطينوس سَراح أثناسيوس بعد أن طلب إمبراطور الغرب قنسطانز من أخيه قنسطنطيوس Constantius إعادة أثناسيوس إلى منصبه ، ومن ثم عاد إلى الإسكندرية فى نفس العام[2]. إلا أن الآريوسيين قاوَموا عودة أثناسيوس، وحدَثَت اضطرابات عُقِدَ على إثرها مجمع في مدينة "آرلس" بفرنسا عام 353، تقرَّر فيه: خلع أثناسيوس من أُسقفيته، وقد وقَّع على هذا القرار جميع الأساقفة الذين تشكَّل منهم المجمع، ما عدا بولين أُسقف تريفس، وكان في مقدمة الموقِّعين أُسقف روميَّة، وأُسقف كابو، وأُسقف كمبانيا بإيطاليا، وقد أحدَثَ ذلك ضجَّة كبيرة في الغرب ، ثم عُقِد مجمع في مدينة ميلانو بإيطاليا عام 355، بأمْر الإمبراطور، وكان مؤلَّفًا من 300 أُسقف جلُّهم آريوسيون، فحكَمُوا بخلْع أثناسيوس عدا نفرٍ قليل منهم[3].

لقد فرض الإمبراطور قنسطنطيوس Constantius الآريوسية على جميع أنحاء الإمبراطورية وسحق نشاط معارضيه الأرثوذكسيين بعد وفاة أخيه قنسطانز عام 350م ، وانشغل بإحلال أساقفة آريوسيين بدلا من الأساقفة الأرثوذكسيين في أهم مراكز الشرق ومنها مصر وبعض جهات الغرب **ويرجع ذلك للآتى :**

أولا : دور يوسابيوس وحزبه فى تزيين المذهب الآريوسى فى عين الإمبراطور .

ثانيا : انتشار المذهب الآريوسى فى القصر الإمبراطورى بين العبيد والخصيان والوصيفات والحراس وكبار رجال البلاط حتى زوجة الإمبراطور قنسطنطيوس Constantius نفسه والتى لعبت دورا مهما هى الأخرى فى إقبال زوجها على الآريوسية.

1- جيبون ، مرجع سابق ، 450/1 ;

وانظر : The religious union of free protestant german Unitarians , germany , p.126,127.

2- جيبون ، مرجع سابق ، 451/1.

3- نفسه ، 453،454/1.

ثالثا : انتصار الإمبراطور قنسطنطيوس Constantius على ماجنتيوس قاتل أخاه قنسطانز ، وكان أحد الأساقفة الآريوسيين قد أبلغه بالنصر مما كان له أكبر الآثر فى تحول الإمبراطور للآريوسية واعتمادها مذهبا رسميا[1].

رابعا : الاتهامات العديدة التى نقلت للإمبراطور عن أثناسيوس ممثل الإيمان النيقياوى ومنها أنه أرسل رسالة دعم إلى القائد المتمرد ماجنتيوس أحد قادة الجيش وحاكم مقاطعة روتيا Rhoetia الذى قتل الإمبراطور قنسطانز إمبراطور الغرب ، وكان أثناسيوس قد استقبل سفراء ماجنتيوس ، مما أكد هذه التهمة[2] ، ومنها أنه فى رحلة العودة من منفاه الثانى مروراً بفلسطين حرض الشعب والأساقفة ضد الإمبراطور ، وأنه رسم كهنة فى الإيبروشيات التى مر عليها وليست من اختصاصة ، وأنه يحرض المصريين على كراهية الإمبراطور قنسطنطيوس Constantius ، وأنه جمع مجمعاً بغير علم الإمبراطور فى فلسطين تحت رئاسة مكسيموس أسقف أورشليم الذى ثبت فيه مقررات مجمع سرديكا / صوفيا وأعطى أثناسيوس يمين الشركة . كان لهذه الاتهامات أثر فى نفس الإمبراطور ضد الأرثوذكسية فى أنحاء الإمبرطورية خاصة وأن ميوله كانت آريوسية ، فأمر بنفى " بول" أسقف القسطنطينية ، وعين بدلاً منه أسقفاً آريوسياً قلب القسطنطينية وكل بلاد آسيا وألقى فى السجون كهنة وأساقفة وأراخنة بلا عدد وطرد الأسقف مارسيللوس أسقف أنقرة وعين باسيل بدلاً منه ، أما لوسيوس أسقف أدرينوبل فزج به فى السجن حتى مات ، وصدرت نفس القرارات ضد أثناسيوس والأساقفة المصريين إلا أن أثناسيوس آثر الفرار فقد أصدر الإمبراطور فى يونية 356م قرارا بنفى الأساقفة الأرثوذكس وأرسل الكونت هيراكليوس ليبدأ عمله ضد (أثناسيوس) وبالفعل أعلن أحكام الإمبراطور وأوامره وأن من لا يخضع للتعليمات الواردة فى خطاباته سيتعرض للعقاب ، وحمل القضاة على توقيع تعهد يلزمهم بالخضوع للإمبراطور ، وقبول الأسقف الذى يرسله لهم ، وبعد ذلك أعلن بصوت جهورى : " إن الإمبراطور

1- جيبون ، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية ، 1/443،442.

2- جيبون ، مرجع سابق ، 1/452 ; وبشأن قتل قنسطانز فقيل إن ماجنتيوس قتله ذبحاً بينما كان يستحم فى إقليم فرنسا (الغال) وقيل قتل تحت أقدام الخيل .كما قتل ماجنتيوس أيضاً أبن أخت الإمبراطور واغتصب العرش ونصب نفسه امبراطوراً على الغرب .

أنزل أثناسيوس عن كرسيه وأمر بتسليم الكنائس للآريوسيين" ، وكان رد بعض الأرثوذكس بتعجب .. هل صار الإمبراطور هراطيقياً[1] ؟ ! .

وصل جورج الكبادوكى الآريوسى[2] مع خمسمائة فارس إلى الإسكندرية (يوم الجمعة الثالث فى الصوم الكبير) فى العام 356م قادماً من إيطاليا بأمر الإمبراطور قنسطنطيوس Constantius عقب تعيين مجمع من الأساقفة – حوالى 30 أسقفاً من سوريا وتراقيا وآسيا الصغرى– له على الكرسى البابوى بالإسكندرية بدلا من أثناسيوس ، وكان أمينا لخزانة المالية بالقسطنطينية ، وأطلق عليه أثناسيوس اسم سارق خزائن[3] .

وقد اتسم حكم جورج الكبادوكى كله بالفزع بالنسبة للأرثوذكسيين[4] إذ كان شغله الشاغل هو التمكين للعقيدة الآريوسية ، ومن ثم انشغل بالتحضير لمجمعى سلوقيا والقسطنطينية فى العام 359م لتحقيق مآربه، وقد وصف جورج لأجل ذلك من قبل مخالفيه بالطاغية ، وبأنه أباح اقتحام أسقفيات أتباع الإيمان النيقياوى واستخدام العنف ضد من فيها[5].

وفي عام 357 عقَد الآريوسيون مجمعًا في مدينة سرميوم في جنوبي فرنسا، برئاسة الأُسقفَيْن الغربيَيْن – أورزاس وفالانس – وحضَرَه الإمبراطور قسطنطينوس بنفسه، وقد وضَع ذلك المجمع صورةَ إيمان جديدةً، أنكَر فيها مساواة الابن لأبيه في الجوهر ، وقد دعا هيلاري أسقف بواتييه هذا القانون " تجديف سيرميوم[6]" ، وقد نص المجمع على ما يلي:(لما كان البعض قد اضطرب فكره بسبب مسائل تدور حول ما يسمى بالجوهر مما قاد إلى القول

1- Athanas., Hist. Ar. 54, The religious union of free protestant german Unitarians , germany , p.80,81.

وانظر :الأب صبحى حموى اليسوعى ، القديس أثناسيوس السكندرى ، ص22، 23

2- هذا الأسقف غير جريجورى الكبادوكى الأريوسى الذى تولى منصب البابوية بالإسكندرية عقب هروب اثناسيوس عام 339م .

3- وانظر: ساويرس بن المقفع ،تاريخ البطاركة،1/394، 393 ; Athanas., Hist. Ar.51.

4- Duchesene.l.,early history of the Christian,II,p. 213, 214.

5- جيبون ، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية ، 1/458.

6- جون لوريمر ، تاريخ الكنيسة ، 3/79، 60.

openkandil.com

بالمساواة فى الجوهر (هو موسية) أو التشابه فى الجوهر الهومويوسية لذا كان من الواجب أن لا يذكر شئ من هذا على الإطلاق وأن لا يعرض فى الكنيسة ذلك أن الكتاب المقدس لم يتحدث البتة عن أى منهما .. . ولا أحد يشك فى أن الأب أعظم فى المجد والكرامة والألوهية) .

وفي عام 359 عقَد الإمبراطور قنسطنطيوس Constantius مجمعين :أولهما :في مدينة ريمني، وخصَّه بالغربيين، والثاني : في مدينة سلوقية بسوريا حضره الآريوسيون (الأنوميون والهوميون) وأنصاف الآريوسيون وقاموا بتأييد العقيدة الهوموية وتزعم ذلك أكاكيوس ، وحضر من أساقفة مصر الآريوسيين عشرة، وقد خصَّ الإمبراطور هذا المجمع بالشرقيين ، وقد أيَّد كلا المجمعين الآريوسية كلَّ التأييد، وهكذا باتَت الكنيسة الغربية كلها آريوسية ، وقد تسبَّب مجمع ريمني الغربي في تعديل صِيغة مجمع نيقية، وأعلنَ لواء الآريوسية في العالم المسيحي كلِّه[1].

ولتأكيد المذهب الرسمى للدولة وهو الآريوسى فقد توالت الرسائل من الإمبراطور قنسطنطيوس Constantius إلى رعاياه بالإسكندرية وما يتبعها من كنائس يحضهم على معاداة أثناسيوس والثبات على الآريوسية ، ومن جملة ما جاء فى هذه الرسالة : " والآن وقد أخترتم أفضل وأكمل من يقودكم بالقول والعمل ولم تترددوا لحظة ، ولكن برجولة ، تحولت مشاعركم وسلمتم أنفسكم إلى الجانب الآخر (يقصد الآريوسيين) تاركين المعلمين ذى الخسة الأرضية ، وممتدين نحو الأمور السمائية تحت قيادة كلى القداسة جورج ... ألخ وإنى إن أستطعت أن أقتله (أثناسيوس) عشر مرات فلن يكون ذلك كافياً أو مساوياً لما عانيته من أتباعه المحتالين المنافقين الذين يشتمون فينا[2].

بل إن الإمبراطور قنسطنطيوس Constantius نراه يراسل الأمراء المسيحيين فى أثيوبيا[3] يحذرهم من أثناسيوس ومذهبه ، ويستدعى الأسقف فرمنتيوس لإعادة تعليمه ،

1- جيبون ، مرجع سابق، 438،439/1 ; وانظر: The religious union of free protestant german Unitarians , germany , p.84-86.

2- جيبون ، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية ، 458/1 .

3- من هؤلاء الأمراء أبرهه الأول المعروف قبل توليه بإسم إيزان ، وأتزيا الأول وهو شقيف أبرهه وكان أسمه سازان.

obeikandi.com

كل ذلك من الإمبراطور لأجل المحافظة على المذهب الآريوسى ، ومما جاء فى رسالته لأمراء أثيوبيا : " أرسلوا بسرعة إلى مصر الأسقف فرمنتيوس إلى الكلى القداسة الأسقف جورج وباقى من معه المنوط بهم خدمة الأسقفية ، لتدبير الأمور المختصة بهم ، لأنكم تعلمون أن فرمنتيوس تقدم إلى رتبة الأسقفية بواسطة أثناسيوس الذى هو متهم بعشرة ألاف جريمة ، ولم يستطع أن يبرئ نفسه منها ، ولذلك أقصى عن كرسيه فى الحال ، وهو الآن يجول من بلد إلى أخرى ... وإنى أخشى أن يذهب أثناسيوس هذا إليكم فى أكسوم ويفسد شعبكم ، وإنى أعتقد أن فرمنتيوس سيعود إلى الوطن وقد أكتملت معرفته ، مزوداً بكل الأمور التى تخص الكنيسة ، وسيكون له نفع أعم وذلك على يدى كلى القداسة جورج وبقية الأساقفة المهيئين بالعلم لتسليم هذه المعرفة ، ليت الرب يحفظكم دائماً أيها الأخوة المكرمون[1] ".

الجدير بالذكر أن هذه الرسائل عضدت المذهب الآريوسى أيما تعضيد ، ومن ثم لقيت عقيدة آريوس أنصاراً كثيرين بالإسكندرية في أوساط الطبقات الدّنيا وخارجها.

وإمعانا من الإمبراطور قنسطنطيوس Constantius فى نشر الآريوسية بمصر وخارجها نراه لا يكتفى بالرسائل للدعوة إلى الآريوسية بل اختار أسقفا آريوسيا هو ثيوفيلوس وجعله على رأس إرسالية دينية بعث بها إلى جنوب غرب الجزيرة العربية على الشاطىء المقابل لمملكة أكسوم الأثيوبية للتبشير بالآريوسية مخافة من امتداد النفوذ النيقياوى إلى هناك [2].

ويتضح أيضا الازدهار الآريوسى بمصر والشرق عموما من خلال الخطابات التى كان يرسلها أثناسيوس لبعض الرهبان يتحدث فيها عن معاناته بسبب آريوس والآريوسية ومنها:

1- الخطاب الأول:أرسل هذا الخطاب إلى المتوحدين (أى الرهبان الذين يعيشون فى الوحده) بعنوان (أثناسيوس : رئيس أساقفة الإسكندرية إلى المتوحدين) ، والذى ذكر فيه وصول الدوق أرتاميوس مع الأسقف الآريوسى إلى دير بافو بحثاً عن أثناسيوس فيما بين سنتى 358 - 360 م.

---

[1]- أنظر : كامل صالح نخلة ، تاريخ أثناسيوس الرسولى حامى الإيمان القويم ، ص 83 ; رأفت عبدالحميد ، الفكر المصرى ، ص303-306.

[2]- رأفت عبدالحميد ، سابق ، ص307،308.

2- الخطاب رقم52:كتب فيما بين 358- 360م عن معاناة أثناسيوس بسبب آريوس ، ومما جاء فيه :

[إلى الذين فى كل مكان يعيشون الحياة الرهبانية المؤسسين فى الإيمان بالإله والمقدسين فى المسيح ، الذين يقولون هو ذا قد تركنا كل شئ وتبعناك ، الإخوة المحبوبين والذين أشتاق إليهم أهديهم تحياتى القلبية فى الرب . إستجابة إلى سؤال محبتكم التى طالما ألححتم على ، كتبت تقريراً مختصراً عن المعاناة التى جزتها بنفسى والتى جازتها الكنيسة شاجباً بقدر استطاعتى الهرطقة الملعونة التى خرج بها آريوس المجنون ، مبرهناً كيف أنها غريبة كلية عن الحق].

3- الخطاب رقم54 :إلى سيرابيون[1] بخصوص موت آريوسوقد استقى أثناسيوس خبر موت آريوس من الكاهن مكآريوس الذى كان موفداً إلى القسطنطينية آنذاك ، ورأى الحوادث وشارك فيها بينما كان أثناسيوس فى تريف فى المنفى ، وهذا الخطاب له صلة أساسية بالكتاب المعروف باسم " تاريخ الآريوسية " حيث يقول فى مقدمته (قرأت رسائل قداستكم التى ترجونى أن أعرفك عن الحوادث التى تجرى حالياً فيما يخصنى كذلك تسألنى عن أن أعطيك تفصيلات عن هذه الهرطقة المتناهية فى الكفر للآريوسيين التى من أجلها قد عانيت أنا هذه الألام ، كذلك تسألنى عن الكيفية التى مات بها آريوس) ، وقد اقتصر أثناسيوس فى الرد على ذكر موت آريوس فقط ، وبالنسبة للسؤالين الأخيرين فإنه كتب رسالة إلى الرهبان وسماها " تاريخ الآريوسية إلى الرهبان " أو كما تسمى حتى اليوم : " إلى الرهبان[2]" ، وهذه الرسالة تبدأ من بداية قبول آريوس فى الشركة فى مجمع " التدشين" فى أورشليم على أثر مجمع صور سنة 335م حيث بدأ أثناسيوس بالحديث عن الأمبراطور قسطنطين لينتهى بدخول

1- كان سيرابيون صديقاً وسفيراً للقديس أنطونيوس وقد أمر تلميذيه عند موته أن يسلما سيرابيون جلد الغنم الذى كان يلبسه، وقد اختير سيرابيون رئيساً لبعثة السلام التى أرسلها أثناسيوس سنة 353م لمقابلة قسطنطين فى ميلان لتوضيح كيف تجرى الأمور فى مصر؟ ولكن البعثة عادت بدون أن يصرح لها بمقابلة الإمبراطور وكان سيرابيون جيا حتى سنة 368 م.

2- متى المسكين ، القديس أثناسيوس الرسولى ، ص 283; وانظر : رأفت عبدالحميد ، اغتيال آريوس ، ص55.

الإمبراطور قنسطنطيوس Constantius فى الخلاف القائم وتبنيه الآريوسية ، وقد كتب أثناسيوس كتابه فى مخابئة حيث كان يكثر التنقل من مغارة إلى مغارة ومن مكان إلى آخر وبلا شك فقد عكس هذا الكتاب الحالة النفسية لأثناسيوس وضيقه من معارضيه جميعاً الإمبراطوراً والأساقفة الآريوسيين ورجال البلاط ، ومن ثم فقد خرج أثناسيوس عن وقار الأساقفة المعتاد عندما وصف الإمبراطور بأنه يعبد خصيانة ، ومرة أخرى بأنه عديم الإنسانية حتى للمقربين إليه ، ومرة ثالثة بأنه رجل مزيف الشخصية ، ورابعة بأنه غشاش فى معاملاته ، وقال عنه أنه أقسى من بيلاطس فى حكمه على البرئ , وأطلق عليه أنه أشنع من آخاب فى مناصرته للأنبياء الكذبة ، وأنه أعتى من فرعون فى إذلاله لشعب بنى إسرائيل ، وأنه جاهل بالكتاب المقدس ، نصير الهراطقة الذين خرجوا عن مقررات مجمع نيقية عدو المسيح لمهاجمته الإيمان الصحيح[1].

وفي عام 361 قام الآريوسيون بعقْد مجمع في إنطاكية، وضعوا فيه: صيغة إيمان جديدة، تعلم أنَّ الابن غريبٌ عن أبيه، مختلف عنه في الجوهر والمشيئة ، وقد ثبتتْ هذه العقيدة في مجمع انعقَدَ بالقسطنطينية في نفس السنة، وقام الآريوسيون بنشْرها في أنحاء العالم، ووضعوا سبعة عشر قانونًا للإيمان تُخالِف قانون مجمع نيقية[2].

ومن خلال العرض السابق يمكننا أن نقرر أن الفترة من عام 337 إلى 361م شملت اضطهادا وتنكيبا للأرثوذكس على يد الآريوسيين بمصر كلها على حد تعبير مخالفى آريوس ، ومن الأساقفة الذين طالهم التنكيب الأسقف آمون والأسقف أولفيوAdelphius اللذان نفيا إلى الواحة الخارجة ، والأساقفة مويس Muis وبسينوسيريسPsenosiris وبيلامون Pilammonوبلينيس Plenesومرقس Marcos وأثينودوروسAthenodorus الذين نفوا إلى واحة آمون – واحة سيوه – وكان محكومًا عليهم بالموت حرقًا ، والأسقف دراكنتيوس الذي نفى إلى صحراء القلزم بالقرب من السويس، والأسقف فيلون الذي نفى إلى بابليون، والأساقفة أمونيوس وأغاثوس وأغاثوديمون Agathodemon وأبلونيوس

[1]- جاءت تطاولات أثناسيوس على الإمبراطور الآريوسى قنسطنطيوس Constantius فى عدة فصول من كتابه منها (9, 30، 34، 40، 46، 51، 53، ، 67- 70 ، 74 ، 80).

[2]- The religious union of free protestant german Unitarians , germany , p.88.

ويولوجيوس وبفنوتيوس وأبوللون وجايوس وفلافيوس وديسقوروس وهراكليوس Heraclidesوبسيان Psainوالكاهنان هيراكس Hierax وديسقوروس نفوهم إلى أسوان، وتمت مطاردة البعض من كفر إلى كفر وتسخِّير البعض منهم في المناجم والمحاجر[1].

وعقب وفاة قنسطنطيوس Constantius عام361م تولى عرش الإمبراطورية جوليان المرتد (يوليانوس) الذى ارتد عن المسيحية إلى العقيدة الوثنية ، وأعاد أثناسيوس إلى كرسي الإسكندرية، وكان خبيثًا يطبِّق سياسة" فرِّق تسُد"، فكان غرضُه أنْ يقومَ المسيحيون على بعضهم ، فتنحلُّ عُرَى الوَحْدة المسيحية، ولَم يمضِ غيرُ قليلٍ، حتى أسفَرَ عن كُفره، فأغْلَق الكنائس، ونَهَب أوانيها، وسلَّمَها للوثنيين، وفتَحَ معابدهم، وجاهَر بتجديد عبادة الأوثان، وقدَّم بنفسه الضحايا لها ، ومنع تعيين مدرسين من المسيحيين وقصر وظائف التدريس على الوثنيين لينشأ الجيل الجديد على مبادىء الوثنية لا المسيحية[2].

لقد انهار فجأة بناء الآريوسيين الشامخ فى مصر وغيرها من دول العالم آنذاك لأن جوليان اضطهد جميع المسيحيين من الآريوسيين والأرثوذكس وكانت مصر مسرحا لهذا الاضطهاد الدموى وذلك لأن جورج الكبادوكى الآريوسى المذهب بابا كنيسة الإسكندرية فى عهد الإمبراطور قنسطنطيوس Constantius كان إلى جانب تعصبه للآريوسية يضمر عداءا شديدا للوثنية والتجار الأثرياء من الوثنيين بالإسكندرية ، وكان قد أعلن غداة تربعه على عرش البطريركية : " حتى متى نسمح لبيوت الاصنام أن تقف بين ظهرانينا ؟ " ، وأمر باضطهاد وثنيي الإسكندرية اضطهادا مريرا ، ومن ثم وجد جوليان الفرصة سانحة للانتقام من بابا الإسكندرية الآريوسى فتم القبض عليه وعلى اثنين من مساعديه هما ديودوروس ودراكنتيوس ، وكبلهم الجند جميعهم فى الأغلال وزج بهم فى السجن ، إلا أن اقتحم سجنهم جماعة من غوغاء الوثنيين وقتلوهم وجروا أجسادهم فى شوارع مدينة الإسكندرية محمولة فى مهانة على ظهر جمل ، وبعد ذلك ألقوها فى اليم[3].

---

[1]- موسوعة تاريخ الأقباط ، 11/ 127 ; الأنبا يوأنس، الاستشهاد في المسيحية، ص 245.

[2] - Vasiliev, Byzantine Empire ,V.1 ,p.68-73 Ostrogorsky, Byzantine state , p.49,50.وانظر : الأب صبحى حموى اليسوعى ، القديس أثناسيوس السكندرى ، ص29

[3]- ول ديورانت ، قصة الحضارة ، 40/12 ; وانظر : إسحق عبيد ، العصور الوسطى الأوربية ، مكتبة سعيد رأفت ، القاهرة ، ص39.

Open Knowledge

الجدير بالذكر أن كثرة كاثرة من أهالى الإسكندرية خرجت تهلل لجورج الكبادوكى وقدمت له إكليل الشهداء[1]، الأمر الذى يؤكد على تغلغل الآيوسية وانتشارها بالإسكندرية ومصر على السواء .

ولابد مما ليس منه بد أن نوضح حقيقة تجلى لنا الأثر الآريوسى فمن المعروف أن جورج الكبادوكي رغم عنفه كان مولعا إلى حد كبير بالقراءة وجمع الكتب ,وذلك منذ أن كان يعيش في كبادوكيا ,ونجح بفضل ثروته ونفوذه فى امتلاك مكتبة ضخمة تضم مخطوطات للعديد من المؤرخين والفلاسفة والخطباء,من مختلف المذاهب الفكرية والمدارس الأدبية ,حتى قيل بأن الإمبراطور جوليان قد استعار منه العديد من تلك المخطوطات ونسخها عندما كان جوليان يتابع دراسته في الفترة الأولى من حياته في كبادوكيا ; وعقب مقتل جورج كان جّل اهتمام جوليان هو امتلاك مكتبة جورج القيمة, ومن ثم أرسل إلى نائبه في مصر,يأمره بإرسال كل ما تحتويه تلك المكتبة إليه في أقرب وقت,مهددا بإنزال أشد العقوبات بأي شخص يتعرض لها أو يخفي شيئا منها[2].

قلت : ولا شك أن مكتبة جورج الكبادوكى كانت تحوى الكثير من الدرر والنفائس ، ومن جملتها قطعا كتبا تخص الآريوسية والردود على مخالفيهم فضلا عن كتب الجدل والفلسفة التى كانت تروق لجوليان .

الغريب فى الأمر أن أثناسيوس رغم هذه المحن التى نزلت بالمسيحية على يد جوليان لم يكن له هم إلا أن يعيد الإيمان النيقياوى لمصر بعد أن تعرض لهزة قوية على يد الآريوسيين ، ومن ثم رأيناه يقر أثناء مجمع الإسكندرية عام 362 م بأن كل من لا يرغب في الاعتراف بصيغة "الأوموأوسيوس" (أي المساواة أو الوحدة في الجوهر) ، ولكنه يقبل في نفس الوقت بوحدة "الآب والابن فإنه على الطريق المستقيم[3] . كما نراه فى نفس العام 362م يدخل فى

1- إسحق عبيد ، مرجع سابق ، ص40.

2- ياسر مصطفي عبد الوهاب:البطريرك الآريوسي جورج الكبادوكي واضطرابات الاسكندرية 356-361م , المؤتمر الدولي الأول بعنوان" الفكر والثقافة في مصر (284-641م) " بكلية الاداب – جامعة عين شمس فى الفترة من 1-3 ابريل 2014م , ص 40.

3- متى المسكين ، القديس أثناسيوس الرسولى البابا العشرون 296 - 373 م ، الطبعة الثانية 2002م ، ص56 ، وانظر : الأنبا غريغوريوس ،علم اللاهوت المقارن / الهرطقات ، مطبوعات الكلية الإكليريكية للقبط الأرثوذكس، ص 62.

مجادلات مع مقدونيوس أسقف القسطنطينية ويجرمه – تولى هذا المنصب سنة 343م وعزل منه سنة 360م- لإنكاره لاهوت الروح القدس متأثرا فى ذلك بآريوس والآريوسية[1].

عقب وفاة الإمبراطور الوثنى جوليان سنة 363م تشاور رؤساء الجند في من يكون خلفاً له فأجمعوا على جوفيان (363-364م) ، وكان رئيس الخدم في القصر ، كما كان نيقاوياً أرثوذكسياً فوقع صلحاً مع الفرس وعاد إلى أنطاكية في خريف 363، وكان مُعاديًا للآريوسية، فلم يلبثْ أنْ فرضَ عقيدته النيقية على الإمبراطورية، وأقام على الولايات حكامًا وَفْق مذهبه ، وحرَّم مذهبَ الآريوسيين ، وأرسل خطابًا ودّيًا لأثناسيوس يدعوه للعودة إلى الإسكندرية ، كما أمر بعودة كل المنفيين[2].

ومن خلال نص رسالة الإمبراطور إلى أثناسيوس تتضح عداوة الإمبراطور للآريوسية إذ جاء فيها : " إننا نحرر إليك هذه الرسالة لندعوك إلى القيام بإضاءة أذهان الشعب بنور السيد المسيح ... والقضاء على هرطقة الآريوسيين الذين طردناهم حتى ننال الخلاص بصلواتك " .

الجدير بالذكر أن أثناسيوس انتهز هذه الفرصة وراح يراسل كبار الأساقفة الأرثوذكس ليخبرهم بخبر الإمبراطور وعلى رأسهم باسيليوس الكبير (ت 379م) وجاء فى نص رسالته له : " إن الإمبراطور جوفيان اعتنق تماما بكل اهتمام الأمانة المستقيمة التى حددها مجمع نيقية المسكونى فافرح وابتهل حيث اصبح أرثوذكسيا ووطد أمانة الثالوث الأقدس الحقيقية[3] "

رجع أثناسيوس إلى الإسكندرية وعقد مجمعًا كتب فيه خطابًا يحوي قانون الإيمان النيقاوي حسب طلب الإمبراطور ، ثم انطلق لمقابلة الإمبراطور الذي قابله بالترحاب طالبا منه أن يوقفه على حقيقة العقيدة النيقاوية فأجابه أثناسيوس إلى طلبه ليعود إلى الإسكندرية في فبراير 364، حاملاً معه خطابات الإمبراطور[4].

1- صبرى أبوالخير ، تاريخ مصر فى العصر البيزنطى ، ص47.

2- ساويرس بن المقفع ، تاريخ البطاركة ، 1/411،410.

3- The religious union of free protestant german Unitarians , germany , p.102,103.

4- Ibid , p.104.

obeikandi.com

لقد كانت هذه الإجراءات التى قام بها الإمبراطور جوفيان لصالح الأثناسيوسيين صدمة كبيرة للآريوسيين حاولوا أن يخففوا منها بإرسال وفد منهم للحديث مع الإمبراطور لقبول مذهبهم إلا أنه لم يسمع لهم ولم يغير سياسته[1].

الجدير بالذكر أن أثناسيوس لم تدم فرحته طويلا إذ سرعان ما مات جوفيان في فبراير 364 وتولى فالنتينان الحكم في نفس الشهر فاستلم الغرب وسلّم أخاه فالنز الأريوسي الشرق. فبعث فالنز منشورًا بعودة جميع الأساقفة الذين سبق نفيهم في حكم يوليانوس إلى أماكن نفيهم، فاضطر أثناسيوس أن يغادر الإسكندرية إلى بيت ريفي . بل إن فالنز من شدة كراهيته لأثناسيوس وللنيقية ، وجدناه يفاجيء الجميع بإصداره مرسوما بنفي أساقفة نيقية ، وفي مقدمتهم أثناسيوس ، وأعلن ذالك القرار في الإسكندرية في 5 مايو 365م[2].

وهكذا يمكننا القول بأن عهد الإمبراطور فالنز (364م-378م) شهد عودة الآريوسية كمذهب رسمى مرة ثانية كما كانت فى عهد قنسطنطيوس Constantius[3] ، وتم التنكيب بكل من يدافع أو يجادل عن الإيمان النيقى وعلى رأسهم ثاودوروس السكندرى الذى ربطه الآريوسيون فى أرجل الخيل وانطلقت به فى الصحراء حتى تقطعت أوصاله[4].

وتجدر الإشارة إلى أنه حتى فى فترات السيطرة الأرثوذكسية كان للآريوسية تواجد واضح بمصر وسائر بلدان الإمبراطورية البيزنطية خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين ، ويكفى للتدليل على ذلك أن الآريوسيين وثبوا على أثناسيوس ليقتلوه فهرب منهم ، وعينوا بطريركا آريوسيا استمر لمدة خمسة أشهر ، وبعد وفاة أثناسيوس تولى البطريرك بطرس على الإسكندرية فثار ضده الآريوسيون فهرب وعينوا بطريركا آريوسيا استمر ثلاث سنوات فى منصبه[5]، وقد عبر ابن تيمية عن حقيقة التواجد الآريوسى هذه بقوله : " إنه كلما عين

1- ساويرس بن المقفع ، مصدر سابق ، 412/1، 411.

2- ياسر مصطفي عبد الوهاب: ثورة بروكبيوس في القسطنطينية 365-366م وآثارها علي مصر ، المؤتمر الدولي الثاني بكلية الاداب – جامعة عين شمس فى الفترة من 5-7 ما يو 2015م ، ص 9.

3- رأفت عبدالحميد ، اغتيال آريوس ، ص85 ; وانظر : نفس المؤلف ، الفكر المصرى ، ص331.

4- ابن البطريق ، التاريخ المجموع ، ص139.

5- نفسه ، ص139.

الإمبراطور بطريركا على المدن النصرانية لا يلبث أن يظهر لهم أنه (آريوس جديد) فيُقتل أو يُطرد ويُنكل به وبأصحابه[1] " ، وعلى الرّغم من شجب العقيدة الآريوسية في مَجمَع القسطنطينيّة عام 381م، فقد استمرّت فى الانتشار حتى إذا كان القرن الخامس كانت كل أسقفية في العالم المسيحي إما آريوسية أو شاغرة .

إن الأثر الآريوسى لم يتوقف على انتشار الفكر الآريوسى بمصر والعالم البيزنطى بل وجدنا يهود الإسكندرية يتحدون مع الآريوسيين ويناصرونهم على الإيمان المشترك الذى يجحد ألوهية السيد المسيح بالدرجة الأولى ، ومما جعل حماس اليهود فى مشاركتهم للآريوسيين ضد أثناسيوس يبلغ درجة العداء السافر والمواجهة , علمهم أن هذا يزيدهم تقرباً من الإمبراطور ومن السلطات الحاكمة المحلية.

وفى النصف الثانى من القرن الرابع الميلادى نجد الأسقف مقدنيوس[2] أسقف القسطنطينية ينكر ألوهية الروح القدس .. وكان من قوله " التوحيد المجرد ، وأن عيسى عبدالله مخلوق إنسان نبى ، رسول الله كسائر الأنبياء عليهم السلام ، وأن عيسى هو روح القدس ، وكلمة الله عز وجل ، وأن روح القدس والكلمة مخلوقان ، خلق الله كل ذلك[3] ".

وعقب انتشار أقوال مقدنيوس فى الولايات الشرقية للإمبراطورية عقد مجمع القسطنطينية سنة 381م بدعوة من الإمبراطور ثيودسيوس الأول ، ورأسه أسقف أنطاكية ولم يحضره أحد من كنيستى روما والإسكندرية ، وقرر المجمع طرد مقدنيوس وحرمانه وعزله من منصبه ، وأوصى باعتبار الآريوسية هرطقة ، وأعاد التأكيد على المذهب الأثناسيوسى ، وأكد قرارات مجمع نيقية عام 325م[4] ، وسبب هذا المجمع هو محاكمة

1- أنظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ،

2- مقدونيوس من الآريوسيين ، وقد عين بطريركا للقسطنطينية سنة 343م وأنظر لاهوت الروح القدس وقال إن الروح القدس عمل إلهى منتشر فى الكون وليس أقنوما متميزا عن الآب والابن ، واعتبره مخلوقا يشبه الملائكة ، وإن كانت رتبته أسمى منهم . أنظر : زكى شنودة ، تاريخ الأقباط ، 6/1.

3- ابن حزم ، الفصل ، 65/1 ; وانظر : ابن البطريق ، التاريخ المجموع ، ص136.

4- ابن البطريق ، التاريخ المجموع ، ص145 ،146 ; وانظر : جوزيف نسيم ، مجتمع الإسكندرية فى العصر المسيحى ، مطبعة جامعة الإسكندرية ، 1973 ، ص110 ; إسحاق عبيد ، الإمبراطورية الرومانية ، ص85.

مقدونيوس ويوسابيوس وأبوليناريوس[1] فقد اجتمع الوزراء والقواد إلى الإمبراطور ، وقالوا له : إن مقالة الناس قد فسدت وغلبت عليهم مقالة آريوس ومقدونيوس ، فاكتب إلى جميع الأساقفة والبطاركة أن يجتمعوا ويوضحوا دين النصرانية فكتب الإمبراطور إلى سائر بلاده ، فاجتمع في القسطنطينية مائة وخمسون أسقفاً ، فنظروا وبحثوا في مقالة آريوس فوجدوها : أن روح القدس مخلوق ، ومصنوع وليس بإله ، فقال بطريرك الاسكندرية : ليس روح القدس عندنا غير روح الله ، وليس روح الله غير حياته ، فإذا قلنا : إن روح الله مخلوق فقد قلنا إن حياته مخلوقة ، وإذا قلنا: إن حياته مخلوق فقد جعلناه غير حي ، وذلك كفر به. فلعنوا جميعهم من يقول بهذه المقالة ولعنوا جماعة من أساقفتهم وبطاركتهم كانوا يقولون بمقالات أخر لم يرتضوها ، وبينوا أن روح القدس خالق غير مخلوق ، إله حق من إله حق من طبيعة الأب والابن ، جوهر واحد وطبيعة واحدة ، وزادوا في الأمانة التي وضعتها الثلاثمائة والثمانية عشر " ونؤمن بروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب المسجود له مع الآب ولابن الناطق فى الأنبياء ، وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية ، ونعترف بمعمودية واحدة لغفران الخطايا ، ونترجى قيامة الأموات وحياة الدهر الآتى آمين" ، وكان في تلك الأمانة "وبروح القدس فقط "، وبينوا أن الابن والآب وروح القدس ثلاثة أقانيم[2] وثلاث وجوه وثلاث خواص، وأنها وحدة في تثليث وتثليث في وحدة، وبينوا: أن جسد المسيح بنفس ناطقة عقلية ، وقد انفض هذا الجمع وقد لعنوا فيه كثيراً من أساقفتهم وأشياعهم[3].

وفى أواخر القرن الرابع الميلادى وبداية الخامس وتحديدا فى عصر البطريرك ثيوفيلوس (385م-412م) انتشرت بمصر الأفكار الأوريجينة مما أسخط الرهبان الأرثوذكس، إذ عمد البعض على نشر قول أوريجين السكندرى (185-254م) والذى نص فيه " بأن الله لا جسم له فهو لا يرى ولا يمكن إدراكه " ، ومن ثم فهو ينزه الله عن الشبيه ، وهذا القول هو عين

1- أبوليناريوس كان أسقفا على اللاذقية بالشام ، كان يعتقد بوجود تفاوت فى العظمة بين الأقانيم الثلاثة ، وحكم عليه بالحرمان فى مجمع القسطنطينية سنة 381م ، وأسقط من رتبته الدينية .

2- أصل كلمة الأقنوم تدل على شخص . ولمزيد من التفاصيل عن الأقانيم الثلاثة أنظر : مقدمة الدكتور أحمد حجازى السقا لكتاب حوار الأديان للقرطبى ، مكتبة مدبولى الصغير ، ص13-24.

3- ابن القيم ، هداية الحيارى ، ص 347 ; وانظر : القرطبى ، حوار الأديان فى الأندلس ، ص28.

openkandil.com

قول آريوس والآريوسية ، الأمر الذى أثار جدلا ولغطا كبيرا بالكنيسة السكندرية ، جعلت البطريرك ثيوفيلوس يعلن مع جماعة من الرهبان " أن الله شكلا بشريا" ، ولما وجد أفكار أوريجين أكثر رواجا استخدم القوة المسلحة ضد بعض الأديرة التى ترفض قوله وأجبرها على الاعتراف بآرائه وإنكار آراء أوريجين [1].

وفى نفس التوقيت تقريبا الذى انتشرت فيه الأفكار الأوريجينية إذا بفكر جديد يبز ويظهر ليكون امتدادا للأفكار الآريوسية على يد راهب بريطانى يدعى بيلاجيوس (360م-420م) وتمثلت أفكاره فى التالى :

1-أن خطيئة آدم كانت قاصرة على نفسه لم تمس أحدا من نسله .

2-أن كل إنسان حين يولد يكون بمثابة آدم حين خلق وقبل أن يخطىء .

3-أن كل إنسان يمكنه بمجرد قوته الطبيعية ، وحريته المطلقة أن يبلغ أسمى درجة من القداسة بدون افتقار إلى مساعدة النعمة الإلهية[2].

ومما سبق يتضح الأثر الآريوسى على بيلاجيوس الذى رفض عقيدة الفداء أو المخلص ، وما يتبع ذلك من تأكيد بشرية المسيح عليه السلام ، ومن ثم رأينا الأنبا أيسيدورس يعقب على أفكار بيلاجيوس بقوله : " ولا يخفى ما فى هذه المبادىء من حط بمنزلة الفادى ولزومه[3] ".

لقد تنقل بيلاجيوس فى البلاد ناشرا فكره فى مصر وفلسطين وقرطاجنة وروما ، ووجد تفاعلا وإقبالا عليه بمصر لا سيما بعد انضمامه لحزب أوريجانوس[4].

وفى النصف الأول من القرن الخامس الميلادى إذا ببطريرك القسطنطينية نسطوريوس يخرج علينا بتأصيل لتعاليم الآريوسية ويعلن صراحة أن للمسيح طبيعتين إلهية وبشرية ، وأنه كلمة الرب ، وأن مريم العذراء هى أم المسيح ، وليست ام الإله لأن مريم العذراء بشر ، ولا يمكن للإله أن يولد من إنسان فعلى ذلك يكون المسيح بشر وليس إله [5]. بل إمعانا من

1- أسد رستم ، الروم ، بيروت ، ط1 ، 1955م ، 122/1.

2- الأنبا أيسيدورس ، الخريدة النفيسة ،587/1،586.

3- أنظر : نفس المصدر ، 587/1.

4- نفس المصدر ، 587/1.

5- Evagarius,history of the church, London , 1854, p.257-258.

نسطوريوس فى نفى الطبيعة الإلهية تماما وتحريض الناس على ذلك نراه يصرح فى خطبة من خطبه قائلا : " كيف أسجد لطفل ابن ثلاثة أشهر قد سجد له المجوس ؟ " ثم قال كيف يكون لله أم ؟ فإذن يستحق الحنفاء المعذرة لأنهم كانوا يلهون بأمهات آلهتهم فى ملاعبهم[1].

انتشرت أفكار نسطوريوس بمصر والقسطنطينية وغيرهما مما أحدث اضطرابا كبيرا بالكنائس ، ووقعت منازعات عقدية بين بطريرك الإسكندرية كيرلس (412-444م) ونسطوريوس ، وراسل الأول الأخير[2] وأصدر ضده اثنى عشر بندا من اللعنة ، ومع تزايد أفكار نسطوريوس بمصر وسائر ولايات الإمبراطورية كان على كيرلس بطريرك الإسكندرية أن يتدخل لدى الإمبراطور ثيودسيوس الثانى لإقناعه بعقد مجمع لإدانة نسطوريوس فكان مجمع إفسوس 431م والذى انتهى إلى الحكم على نسطوريوس بالزندقة ونفيه إلى صحراء مصر بالصعيد وإعفائه من منصبه ، وأصدر المجمع دستوره الذى أقر ما ورد فى مجمع نيقيه ومجمع القسطنطينية الأول ، وأقر بأن مريم هى أم الإله[3].

ورغم إدانة نسطوريوس فقد ظل الرجل مصرا على فكره الذى صرح به وظل يردد " إن المسيح إنسان فقط ، وإنه نبى لا غير " ، ويتأكد إصرار الرجل وتمسكه بمعتقده بما وقع له وهو يستعد لتطبيق حكم النفى فى مصر إذ أرسل أعضاء مجمع إفسوس إليه طائفة من الأساقفة يقولون له : اعترف بأن المصلوب إله متجسد ، ونحن نقبلك ونعفيك من النفى فرفض ولم يجبهم فعبروا عن رفضه بقولهم " فقسا قلبه مثل فرعون " .

وفى طريق المنفى إلى مصر يقول للحاجب الذى معه : نستريح ها هنا قد تعبت ! فقال له الحاج : قد تعب ربك (يعنى المسيح) إذ مشى إلى السادسة وهو الإله ، فما تقول أنت ؟! فقال

1- الأنبا أيسيدورس ، الخريدة النفيسة ، 483/1; وانظر : منسى يوحنا ، تاريخ الكنيسة القبطية ، ص303.

2- ابن البطريق ، التاريخ المجموع ، ص 156 ، وانظر : ساويروس بن المقفع ، تاريخ البطاركة ، 437/1 ; عزيز سوريال ، تاريخ المسيحية ، ص38.

3- ابن البطريق ، مصدر سابق ، ص 156 ; وانظر : ساويروس بن المقفع ، مصدر سابق ، 437/1-457 ; القرطبى ، الإعلام ، 26/1 ; أسد رستم ، الروم ، 125/1 ; محمد أبوزهرة ، محاضرات فى النصرانية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ص124،125 ; عزيز سوريال ، تاريخ المسيحية ، ص39 ; أثناسيوس المقارى ، قوانين أثناسيوس بطريرك الإسكندرية ، شبرا ، ط2 ، 2006 ، ص41،42.

له نسطوريوس : اجتمع مائتا أسقف يطلبون منى أن يسوع هو الله المتأنس فما قلت : أفأقول لك أنت إن الله تعب[1].

مكث نسطوريوس بمصر سبع سنين ، ومات ودفن بقرية تدعى سقلان بأخميم من صعيد مصر[2] ، ومما لا شك فيه أن السنين السبع التى قضاها نسطوريوس بمصر شهدت انتشارا لأفكاره التى ظل ثابتا عليها حتى الممات ، ومن ثم نجد ابن البطريق يؤكد على كثرة النساطرة بالمشرق بعد وفاة نسطوريوس[3].

1- ساويروس بن المقفع ، تاريخ البطاركة ، 1/457،456.

2- ابن البطريق ، التاريخ المجموع ، ص158.

3- أنظر : التاريخ المجموع ، ص158.

obeikandl.com